هزيمة غراتسياني

و

سقوط الفاشية

تأليف: حسن محمود بالحاج

هزيمة غراتسياني

و

سقوط الفاشية

تأليف: حسن محمود بالحاج

الإهداء

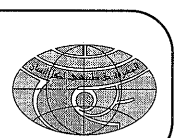
إلي ذكري والدي ،،،،

الذي فاجأه العدوان الإيطالي و هو في ريعان الشباب

و أصابته نار الغدر بكلوم لم تندمل أ بداً

و طاردته اليد الآثمة إلي منتهاها فمات غريباً .

حسن يوسف اللموشي



الدار الجماهيرية للنشر و التوزيع و الإعلان

مصراتة – الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الإشتراكية العظمى

ص.ب. 17459 مبرق (تلكس) 30098 مطبوعات

الطبعة الاولى 1428م-1998 أفرنجي

رقم الإيداع 3233-98 دار الكتب الوطنية – بنغازي

طبعت بمطابع شركة ب.ي.ج. المحدودة – سان جوان – مالطا

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

عندما قامت الدوائر الإستعمارية الإيطالية بغزو ليبيا سنة 1911 لم تكن تتوقع مطلقاً أن تكون المقاومة شديدة إلي الحد الذي يهدد عملية الغزو ذاتها تهديداً خطيراً ، و هي التي اعتقدت أنها لن تستغرق إلا أياما معدودة و بعدها ينتهي كل شيء . و لكن المقاومة استمرت ما يقارب من ثلاثين سنة و لم يستطيع الإيطاليون قبلها أن يمدوا نفوذهم و سيطرتهم علي كامل التراب الليبي . و في أوائل سنة 1932 أعلنوا أنهم أتموا احتلال المستعمرة و تهدئتها ، و لم يستمر هذا الهدوء المزعوم طويلاً ، إذ ما لبثت الحوادث أن اتخذت في سنة 1940 منعطفا حاداً أدي إلي تغيرات بعيدة المدي ليس في ليبيا فقط ، و لكن علي المستوي العالمي أيضاً

لقد مرت ليبيا منذ الغزو الإيطالي سنة 1911 و حتي سنة 1945 بأربع مراحل أو فترات تختلف كل منها عن الأخري بحسب اختلاف الأوضاع السياسية و الاستعمارية التي كانت تسود آنذاك و هي كما يلي :ـــ

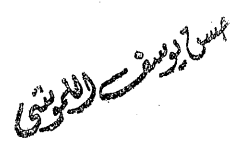
الأولي : هي فترة مقاومة و محاصرة القوات الإيطالية في مواقع معينة نتيجة للمقاومة الباسلة التي أبداها الليبيون و استمرت من سنة 1911 إلي سنة 1922.

الثانية : هي الفترة التي أطلق عليها مرحلة ترسيخ الاحتلال الايطالي لليبيا ، و إعادة الاحتلال و مد نفوذ القوات الايطالية إلي الأماكن التي لم تستطع الوصول إليها ، أو وصلت إليها ثم طردت منها و استمرت من سنة 1922 إلي سنة 1932 .

و اضطرت إيطاليا في هذه المرحلة إلي خوض كثير من المعارك الشرسة أثناء محاولتها احتلال كامل التراب الليبي و اشتبكت في معارك مريرة كلفتها خسائر جسيمة و ألزمتها القتال المستمر و المضني ، فاضطرت إيطاليا إلي جلب المزيد من المعدات والجنود حتي تستطيع السيطرة علي المواقف المتأزمة و الشديدة الخطوروة التي منعتها من فرض إرادتها و تحقيق أهدافها .

لقد حشدت إيطاليا كل إمكاناتها المادية و البشرية لإنهاء المقاومة في ليبيا و إتماماً لهذه السياسة وضعت علي رأس تنظيماتها الاستعمارية و السياسية و العسكرية قادة يحققون أحلام موسوليني التوسيعية، ويطبقون المباديء الفاشية اللاإنسانية علي الشعوب الآمنة بحد السيف مستخدمين في ذلك أحط الوسائل التي عرفها البشر من قتل و تدمير و إبادة ، وأفرز هذا الإتجاه الفاشي المنحط قيادات جديدة تعتمد علي الإرهاب و البطش و إبادة البشر لتحقيق المجال الحيوي الذي يقوم علي جلب أعداد كبيرة من البشر و إحلالهم محل أصحاب الأرض الأصليين بعد إبادتهم و محوهم من الوجود ، من أمثال فولبي والي طرابلس ، و ترودس والي برقة ، و ديبونو وزير المستعمرات و الحاكم العام لليبيا بيتروبادليو ، و الجنرال غراتسياني و هو من كبار القادة العسكريين .

لقد مارس هؤلاء القادة و معهم آخرون أدواراً هامة في الحرب الاستعمارية القذرة التي شنها الإيطاليون علي الشعب الليبي ، و ساهم كل منهم بدوره الخاص في عمليات القتل و الإرهاب و التشريد و لكننا مع ذلك نولي الجنرال غراتسياني



أهمية خاصة باعتباره أحد المنفذين الفعلين للسياسة الإستعمارية الإيطالية الفظة في ليبيا ، لقد اشترك غراتسياني في كثير من المعارك التي جرت لإعادة الإحتلال الإيطالي لليبيا ابتداءاً من سنة 1922 سواء في مجال عمليات طرابلس ، أو في برقة فيما بعد ، و قد قام غراتسياني بدور كبير في هذه العمليات أكسبته شهرة و اسعة أظهر خلالها سجاياه الطبيعية التي تمثلت في القسوة و التجبر و أكسبته عن جدارة و استحقاق لقب السفاح .

و قد ارتبط غراتسياني ارتباطاً نهائياً و مصيرياً بموسوليني و الفاشية ، لقد تصاحبا و سارا سوياً منذ الإنتصارات الإيطالية التي حققها النظام الفاشي في حروبه الإستعمارية قبل أن يصطدم بالقوات المتحالفة ضد المحور ، ذلك الصدام الذي أدي إلي أفول نجم غراتسياني و إلي اضمحلال الفاشية .

و بالرغم من الأحداث الجسيمة التي جرت في هاتين الفترتين و ما أدت إليه من آثار و نتائج ، إلا أن معرفتنا بهما لا زالت تعاني قصوراً كبيراً ، فكثير من المواد العلمية المتعلقة بأحداث الإحتلال الإيطالي لا زالت في لغاتها الأصلية لم تنقل إلي العربية ، حتي يسهل تداولها و الإطلاع عليها و معرفة الحقائق المختلفة المتعلقة بالإحتلال الإيطالي و ممارساته و أهدافه و النتائج الإجتماعية و الإقتصادية و الثقافية المترتبة عليها و غيرها من ظروف ، صحيح أنه بذلت محاولات طيبة من كثير من الدارسين و الباحثين إلا أن الجهد المبذول لا يزال في حاجة إلي دعم و تشجيع حتي تزداد معرفتنا بهذه المرحلة الصعبة التي اجتازها الشعب الليبي .

الثالثة : هي الفترة من سنة 1932 إلي سنة 1940 , في سنة 1932 أعلن بادليو الحاكم العام لليبيا في تصريح رسمي عن إنتهاء المقاومة في ليبيا ، و امتدت هذه الفترة ثمان سنوات ، لم يميزها شيء سوي تعيين إيتالو بالبو في أول أي النار « يناير » سنة 1934 ، حاكماً عاماً لليبيا بدلاً من الماريشال بادليو ، و انتهاء عمل غراتسياني كنائب والي برقة في شهر الماء « مايو » سنة 1924 هذا علي مستوي الأحداث في ليبيا .

أما علي المستوي الدولي ، فقد قام الإيطاليون بغزو الحبشة ، إذ لم يكد الإيطاليون ينتهون من عملية إخضاع ليبيا للحكم الإستعماري الفاشي حتي أخذ موسوليني يرنو بعينيه إلي الحبشة يجدبه إليها ما تحتوي عليه من مصادر طبيعية و إمكانات كبيرة ، و أمر قواته في شهر التمور « اكتوبر » سنة 1935 بالهجوم علي الحبشة و الإستيلاء عليها ، فهاجمها الإيطاليون مستعينين مستعينين في هجومهم بكافة الأساليب و الوسائل التي يمتلكها جيش أوربي حديث ، مستخدمين الطائرات و الدبابات والمدفعية و الغازات السامة المحرمة دولياً ، و اقترفت إيطاليا في غزوها للحبشة المجازر و الفظائع ضد الشعب الحبشي الأعزل باسم الحضارة و التمدين ، و قاد هذا الزحف الدموي لبشع السفاحان : الماريشال بادليو ، و الجنرال غراتسياني و أدي غزو إيطاليا للحبشة إلي خلافات دولية أصابت عصبة الأمم بهزة قوية ، و أحدثت خلافات بين دول العالم الكبري ، إلا أن هذا الغزو أدي من ناحية أخري إلي ازدياد وعي العالم بقسوة الإحتلال الإيطالي و بشاعته .

الرابعة : و هي الفترة التي تقع بين الصيف «يونيو» سنة 1940 و الطير «أبريل» سنة 1945 و هي من الفترات الغريبة التي قد تمر بالشعوب أحياناً فتجري أثناءها أحداث تؤدي إلي نتائج لا يتوقعها أحد ، فعندما اكتسحت الدبابات الألمانية فرنسا رأي موسولينيني انتهاز الفرصة لتحقيق مكاسب لإيطاليا من خلال الإنتصار الألماني ، فأعلن في العاشر من شهر الصيف «يونيو» سنة 1940 الحرب علي بريطانيا و فرنسا ، و أصبحت إيطاليا بذلك في المعسكر المضاد لبريطانيا التي تحتل مصر ، و أمر موسوليني قواته المتمركزة في ليبيا تحت قيادة غراتسياني بالهجوم علي مصر و احتلالها ، و تقدمت القوات الإيطالية داخل الأراضي المصرية حتي وصلت إلي بلدة سيدي براني و توقفت هناك ، إلي أن قامت القوات البريطانية بهجوم أعد له إعداداً جيداً و تمكنت من دحر الجيش العاشر الإيطالي الذي كان تحت قيادة غراتسياني ألمع الضباط الإيطالين و أكثرهم شهرة ، و أبيدت القوات الإيطالية و هي تنسحب غرباً عند «بيضافم» «1» شمال اجدابيا و لقد كانت هذه الهزيمة الشنيعة ضربة قاصمة للإيطاليين لم يفيقوا منها أبداً، أدت إلي اضمحلال قواهم و سقوط الفاشية .

لقد شدت هذه الأنباء المذهلة انتباه العالم ، فها هو الجيش الإيطالي الذي كانت انتصاراته تملأ الأسماع ينهار فجأة ، إن الإيطاليين الذين أحرزوا في معاركهم الإستعمارية المدوية أوهموا العالم بأنه أمام قوة ناهضة لاتبقي علي شيء يقف أمامها و أعطت القادة الإيطالين إالإيطالين إحساساً زائفاً بالقدرة و النبوغ العسكري ، فامتلأوا غروراً و عنجهية ، و راحوا يهزون أعطافهم خيلاء و صلفاً ، تزين أرديتهم العسكرية الأوسمة و علامات الرتب و الشارات المختلفة ، و عندما واجه الجيش الإيطالي خصماً أوروبياً حديثاً و مزوداً بالعدد و العتاد انهار فجأة كما تنهار قصور بنيت من الرمال ، لقد أدهشتني أحداث هذه الفترة و أخذت بمجامع لُبي ، فها هي الفاشية تنهار و ها هو غراتسياني البطل المغوار ينتهي نهاية قبيحة ، فبعد أكاليل الغار التي زينت مفرقه إذا به يتردي في سلسلة من الهزائم و الإنكسارات رافقته إلي نهاية حياته ، فوضعت هذا الكتاب كي أسجل فيه الحدثين : هزيمة غراتسياني و انهيار الفاشية .

و لعل من الأمور التي لفتت نظري عند تتبعي لهذه الفترة ، هي أني لم أوفق في العثور علي كتاب يؤرخ الوقائع التي حدثت في ليبيا فيما بين سنة 1932 و سنة 1945 ، لقد اهتم الباحثون بالحوادث حتي سنة 1932 و لكنهم لم يحفلوا بتاريخ الوقائع الحاسمة التي جرت خلال الحرب العالمية الثانية .

لا لا شك أن هناك الكثير من المعلومات عن هذه الفترة ، إلا أنها موزعة و متناثرة في بطون الكتب ، ككتب التاريخ العامة ، و كتب التاريخ العسكري ، و كتب المذكرات و السير الذاتية لبعض المشاهير .

لقد بذلت في هذه الدراسة أقصي ما استطعت من جهد ، رغم قلة الإمكانيات و ضيق الوقت و قسوة الظروف ، يدفعني أمل واحد هو أن يكون هذا العمل حافزاً لاهتمام الباحثين و الدارسين و المختصين من الليبيين ، للقيام بدراسات أوسع في هذا الموضوع تزيد من معلوماتنا و معارفنا عن هذه الفترة الهامة من تاريخ ليبيا .

بنغازي في: 1996/8/20 — حسن محمود بالحاج

---

(01) موقع على بعد 30 كم شمال الزويتينة بمنطقة اجدابيا.

الجزاء الأول

الهزيمة بين براني واجدابيا

الأحلام التوسعية

قامت السياسة الإستعمارية الإيطالية علي أساس تحقيق أحلام توسعية إيطالية و خطط استعمارية أوسع نطاقاً و أبعد مدي ، فهي تتطلع لإعادة الإمبراطورية الرومانية ذات المجد و السلطان الواسع ، و من ثم فقد أخذت منذ نهاية القرن التاسع عشر في تصويب ناظريها تجاه شرق أفريقيا حيث الصومال و أريتريا ، ثم صوب البحر الأبيض المتوسط ، الذي سبقتها إليه بريطانيا وفرنسا ، فقد احتل البريطانيون مصر بينما احتل الفرنسيون المغرب و الجزائر و تونس فلم يبق أمامها إلا ليبيا ، و كانت تابعة في ذلك الوقت لتركيا .

الإحتلال الإيطالي لليبيا

شنت الدوائر الإستعمارية الإيطالية حربها العدوانية علي ليبيا في شهرالتمور«اكتوبر» سنة 1911 ، و كانت الدول الإستعمارية قد أقرت في مؤتمر برلين سنة 1884 مبدأ تقسيم أفريقيا ، و كانت ليبيا من ضمن المناطق المستهدفة باعتبارها جزء من الوطن العربي و من أفريقيا «2» .

و كان العدو أنزل قواته في طبرق يوم 4 المم من شهر التمور «اكتوبر» سنة 1911 و في طرابلس يوم 5 منه ، و في درنة يوم 15 منه ، و في الخمس يوم 18 منه ، و في بنغازي يوم 20 منه .

و نشأت عن الحرب الليبية ـ الإيطالية أزمة في العلاقات التركية ـ الإيطالية علي اعتبار أن ليبيا كانت تحت الإمبراطورية العثمانية ، أدت إلي إعلان إيطاليا الحرب علي تركيا ، و إلي قيام إيطاليا بالإستيلاء علي جزر بحر إيجة ، و ضرب الدردنيل ومهاجمته ، و مساعدة ثورة الإدريسي في الجزيرة العربية ، و قصف ميناء الحديدة ، و توسيع نطاق الحرب في ليبيا «3» .

و قد أدت هذه الظروف إلي مفاوضات بين تركيا و إيطاليا انتهت بمعاهدة لوزان في 18 من شهر التمور «اكتوبر» سنة 1912, و انتهت بذلك الحرب بين تركيا و إيطاليا . و قد أصدر السلطان مرسوماً بمنح الحكم الذاتي لليبيين ، و أن يتم إجلاء القوات التركية عن ليبيا «4» .

و هكذا تُرك العرب بمفردهم بانسحاب الأتراك ، و أصبحت طرق الإمدادات التي كانت تأتيهم عن طريق تونس و مصر مهددة بعد اعتراف كل من بريطانيا و فرنسا بتبعية طرابلس و برقة لإيطاليا ، و قد تم انسحاب معظمعظم الجنود الأتراك إلا من بعض الضباط الذين بقوا كمتطوعين لإدارة الأمور العسكرية في طرابلس و برقة ، و اتفق علي أن تكون القيادة في لأحمد الشريف و في طرابلس لسليمان الباروني .

1ـ الإحتلال الإيطالي و نمو حركة المقاومة :ـ

و قد استمر المجاهدون الليبيون في التصدي للعدو ، و مناوشته و تكبيده الخسائر الفادحة رغم الفارق ف الكبير في الدد والعدة بين المجاهدين و العدو ، و استمرت تلك النار متأججة إلي أن بلغت ذروتها في معركة القرضابية في 28/ 4/ 1915 والتي انهزم فيها العدو ، و انكمش وجوده في بعض المدن الساحلية فقط «5» .

و عندما قامت الحرب العالمية الأولي أرادت تركيا استغلال المقاومة الليبية في فتح جبهة جديدة ضد الإنجليز في مصر ، وحملت أحمد الشريف علي إعلان الحرب ضدهم إلا أن الحملة انتهت بالفشل .

«02» عمر المختار نشأته و جهاده صفحة 26.

«03» مذكرات جوليتي صفحة 34.

«04» حاضر العالم الاسلامي جـ 3 صفحة 321.

«05» عمر المختار نشأته و جهاده صفحة 40.

إن إقحام المجاهدين في برقة في حرب خاسرة مع الإنجليز أدي إلي نتائج سلبية علي حركة المقاومة في ليبيا بشكل عام ، و في برقة بشكل خاص فقد انسحب أحمد الشريف من من ميدان الجهاد ، و كان قد رفض التفاوض مع الإيطالين و غادر البلاد إلي تركيا سنة 1917 و تسلم القيادة السياسية و المدنية بعده اريس السنوسي ، و كان ميالاً للتقارب و التفاهم مع الإيطالين ، و ذلك عن طريق منع استئناف الحرب ضد الإنجليز حلفاء الإيطالين علي الحدود الشرقية و السعي لعقد الهدنة مع الإيطالين ، و بعد إجرائه سلسة من المفاوضات في الزويتينة و عكرمة و الرجمة ، و بومنصور، تعرض ادريس لضغوط جديدة نتيجة قبول كتاب البيعة بمبايعته أميراً علي لقطري طرابلس و بنغازي الأمر الذي يتعارض مع التزاماته للإيطالين و ضغوطاً من الإيطالين بوجوب تنفيذ الإتفاقيات التي أبرمها بالاضافة إلي نتائج الإنقلاب الفاشي في إيطاليا في شهر التمور «اكتوبر» سنة 1922 وتجدد العمليات العسكرية في طرابلس.

و عندما أدرك تصميم إيطاليا علي استئناف العمليات العسكرية في برقة انسحب من الميدان بحجة المرض و سافر إلي مصر سنة 1922م ، و عهدت إدارة الأعمال العسكرية إلي عمر المختار «6»

2- إعادة الإحتلال الإيطالي لليبيا : -

بعد المقاومة الباسلة التي أبدأها المجاهدون الليبيون و الخسائر التي أنزلوها بالإيطاليين و خاصة في معركة القرضابية سنة 1915, انكمش الوجود الإيطالي و أصبح محصوراً في نطاق بعض المدن الساحلية ، و قد تبني الإيطاليون خطة تهدف إلي السيطرة علي طرابلس و فزان ، ثم الاتجاه بعدها إلي برقة و إنهاء المقاومة فيها ، و السيطرة نهائياً علي كامل التراب الليبي .

و من كبار الشخصيات الإستعمارية التي عملت علي ترويج هذا الأمر الكونت جيوسبي فولبي و إلي طرابلس الغرب من سنة 1921 إلي سنة 1925 و هو من أخطر الشخصيات الإستعمارية في هذه المرحلة .

العمليات الحربية لاحتلال طرابلس الغرب

بدأت هذه العمليات باحتلال قصر أحمد ، و قد حاولت وزارة المستعمرات و الولاة الذين تعاقبوا علي حكم الولاية منذ سنة 1916 احتلال مصراتة ، فقد كانت مصراتة عاصمة الجمهورية ، و مركز القيادة العسكرية و السياسية للنضال الوطني ، والمعقل الحصين الذي تحطمت دونه كل محاولات الإستعمار و لكنهم كانوا يقابلون في كل مرة من الدوائر العسك العسكرية و السياسية بالرفض لأسباب مختلفة لعل من أهمها : ضعف قدرات القوات الإيطالية و الحاجة إلي عمليات عسكرية في المناطق الأخري لتأمين احتلال مصراته و كانت قضية احتلال مصراته شغلاً شاغلاً للدوائر العسكرية و السياسية في إيطاليا وليبيا «7»

و عندما عُين الكونت فولبي والياً علي طرابلس الغرب في شهر ناصر «يوليو» سنة 1922 اتخذت قضية احتلال مصراته مساراً جديداً ، فقد تمكن فولبي و لكن بعد جهد من الحصول علي تصريح الدوائر الرستعمارية الإيطالية باحتلال قصر أحمد ميناء مصراته البحري ، و شرع علي الفور في تنفيذ هذا الأمر ، و أحاط تحركاته العسكرية بسرّية مطلقة حتي يحقق المفاجأة المرجوة ، و تحركت القوات الإيطالية صباح 25 من أي النار «يناير» سنة 1922 تحت قيادة الكولونيل بيتساري ، و هو من الجنود الذين ساهموا في كثير من الحروب الإستعمارية في ليبيا .

---

(06) عمر المختار نشأته و جهاده

(07) بعد القرضابية صفحة 10.

و في 26 أي النار «يناير» سنة 1922 أخذت قوات الحملة النزول إلي الشاطيء و عند الساعة الثالثة و النصف من بعد ظهر ذلك اليوم كانت جميع قوات الحملة قد أنزلت وأخذت قوات المجاهدين في التصاعد بحيث أصبحت تشكل خطورة واضحة علي وضع الحملة .

و استمرت المعارك من يوم 26 أي النار «يناير» إلي يوم 11 من شهر النوار «فبراير» حيث وصلت المعارك إلي ذروتها، تحول بعدها المجاهدون عن قصر أحمد إلي الزروق «8».

و رداً علي احتلال قصر أحمد قام المجاهدون بعزل العزيزية و محاصرتها و محاصرة الزاوية .

و قد رأت القيادة الإيطالية أمام الخطورة التي تكتنف حامية الزاوية تأجيل فك الحصار عن العزيزية إلي ما بعد السيطرة الكاملة علي الساحل الغربي و احتلال الزاوية و لتحقيق هذه الغاية تحركت من سيدي بلال يوم 15 من شهر الطير «ابريل» قوات إيطالية بقيادة الكولونيل «كوتور» كما تحركت قوات أخري من زوارة بقيادة الكولونيل غراتسياني و تسجل مشاركة غراتسياني في هذه الحملة بداية ظهور شخصيته علي مسرح العمليات الحربية في ليبيا التي سيرتبط بها ارتباطاً كريهاً حتي نهاية المقاومة في الجبل الأخضر «9» .

غراتسياني :

ولد «رودلفو غراتسياني» في 11من شهر هنيبال«أغسطس» سنة 1882 بمنطقة وادي نهر «أنيني»، بدأ حياته بالعمل في الحاميات بأفريقيا، فعمل بأريتريا ما بين سنة 1907 و سنة 1912, و عمل في سنة 1919في مقدونية، و في سنة 1920في باري ضد البلشفية، و في نهاية سنة 1920 أحيل إلي الإستيداع بناء علي طلبه، ثم سافر إلي البلقان و منها إلي تركيا فالقوقاز، و عاد إلي إيطاليا سنة 1921 و عرض عليه العمل في طرابلس، تلبية لطلب كان قدتقدم به منذ سنة 1918, و هكذا وصل إلي طرابلس في شهر الفاتح «سبتمبر» من تلك السنة .

و يعد غراتسياني أكثر القادة خبرة بشئون المستعمرات، و لكنه كان أيضاً أكثرهم قسوة و فظاظة، و قد تكونت لديه هذه الخبرة بداية من سنة 1921, من خلال المهام القمعية التي كان يكلف بها، و كان موضع إطراء و إشادة من الجهات الإستعمارية الفاشية التي تعتبر مسئولة مسئولية كاملة عن انتكار خطط إجرامية، و إعداد الوسائل لتنفيذها بحيث أفضت إلي اقتراف عملية إبادة جماعية «10».

و قد شجعت الدعاية الفاشية و واضعو التاريخ الرسمي غراتسياني علي سلوك سياسة التشدد و اتباع العنف و الشدة، فهم ألذين أشادوا بشخصيته، و مجدوا مناقبه و أظهروا محاسنه، و أخفوا مساوئه، و بالذات الثمن الباهظ من الأرواح الذي كلفته سياسة العنف و الشدة هذه، و لم يحتاروا في إيجاد ما يبرها.

أما أسباب خظوته لدي وسائل الإعلام الفاشية، و في مؤلفات التاريخ الإستعماري فمتعددة منها: أنه كان أشهر الجنرالات الاستعماريين الطليان، إذ تجده يبرز في جميع الحملات الفاشية علي افريقيا لكفاءته في أمثال هذه الحروب، و منها تكوينه الجسماني اذي يوحي بالهيبة، و منها قدرته علي الحركات المثيرة، و تمكنه من استخدام الألفاظ البلاغية الجميلة التي كانت تجعل منه بطلاً فاشياً أصيلاً .

«08» نفس المرجع صفحة 28 .

«09» نفس المرجع صفحة 67 .

«10» إعادة الاحتلال الفاشي لليبيا صفحة 50 .

و كان غراتسياني مقرباً للنظام الفاشي ، و أكثر التصاقاً به من القادة الآخرين ، فلم يكن ينتمي من حيث نشأته و لا تدرجه إلي الشلة الملكية في الجيش ، إذ أنه كان من ضباط الاحتياط ، و لم يتخرج من أي كلية أو أكاديمية عسكرية ، و كان بالتالي يحصل علي التقدم و الرتب في الميدان ، فكان عليه أن يندفع لتخطي التدرج في الرتب التقليدية نحو البحث عن دعم ومساندة من الأوساط الفاشية ، و عن طريق قادتها من أمثال دي بونو و موسوليني نفسه ، و ذلك بالمبالغة في ولائه للنظام ، وتقديم الأدلة علي كفاءته و إخلاصه في عمله .

إن الدراسات الدقيقة و المتأنية لوثائق المحفوظات التاريخية تبرز لغراتسياني صورة متميزة بما يلي :

حرصه الدائم علي تأكيد شخصيته و تمجيدها ، و سيطرة النزعات الأنانية عليه إلي حد حبك الدسائس ضد رؤسائه ومرؤسيه علي السواء ليستاثر بكل مزية و فضل ، و إلي حد تحمل مسئولية أخطر الإجراءات و أمقتها بدون تردد إذا رأها تخدم أغراضه.

لقد أثبت غراتسياني كفاءته كمنظم و قائد لأنماط الحرب العصرية في الصحراء التي اكتسبها خلال الحملات الاستعمارية في أفريقيا في فترة ما بين الحربين العالميتين .

و لم يُظر غراتسياني فضائل القائد الكفء و المنفذ الحاسم إلا في قمع حركة المقاومة ، فقد نسب إليه كل الفضل في تحقيق النصر في حروبه الاستعمارية ، و لقد نجحت الدعاية الفاشية في تصويره بطلاً ، و لكنها غفلت عن إدراك فقره الشديد في أي عبقرية سياسية أو استراتيجية « 11 » .

الإتجاه نحو المنطقة الغربية الساحلية :

و بعد احتلال قصر أحمد بمصراته اتجه الإيطاليون إلي المنطقة الغربية الساحلية من ليبيا ، ففي يوم 15 الطير « ابريل » سنة 1922 تحركت قوات بقيادة الكولونيل غراتسياني ، وتسجل مشاركة غراتسياني بداية ظهوره علي مسرح العمليات في ليبيا ، حيث لعب في تلك الأحداث دوراً كبيراً حقق له شهرة طائلة أهلته لأن يكون أبرز العسكريين الإيطاليين في منطقة طرابلس ، كما أكسبته العمليات التي اشترك فيها في ذلك المسرح لقب السفاح عن جدارة و استحقاق جعلته موضع نقمة و احتقار بما اقترفه من أعمال إجرامية جردته من صفات الشرف و الآدمية .

و كانت العمليات موجهة ضد الزاوية و من بعدها العزيزية ، و استمرت العمليات في هذه المنطقة من 16 الطير « ابريل » إلي « 19 الماء « مايو » سنة 1922, و قد اتخذ الإيطاليون من العزيزية قاعدة لمهاجمة الجبل الغربي (12).

و كانت الحكومة الإيطالية قد أعدت حملة كبري واسعة النطاق لاحتلال الجبل الغربي ، و أسندت المهمة الرئيسية في هذه الحملة إلي الكولونيل غراتسياني ، و أدت هذه الحملة إلي الإستيلاء علي جادو ، و كاباو ، و نالوت ثم يفرن ، التي اتخذت قاعدة للوثوب علي غريان التي احتلتها قوات غراتسياني في 17 نوفمبر سنة 1922 .

و في يوم 6 النوار (فبراير) سنة 1923 احتل الإيطاليون مدينة ترهونة بعد معارك عنيفة مضنية .

و واصل الإيطاليون بعد ذلك زحفهم للاستيلاء علي الشريط الساحلي الممتد من الخمس حتي مصراته ، فاستولوا علي مصراته في يوم 26 النوار (فبراير) سنة 1923 ، و تمت ترقية غراتسياني إلي رتبة جنرال تقديراً للجهود التي بذلها في تحقيق هذا الإحتلال (13) .

---

(11) إعادة الاحتلال الفاشي لليبيا صفحة 105.

(12) معجم معارك الجهاد صفحة 64 .

(13) بعد القرضابية صفحة 170 .

و تم الاستيلاء علي اجدابيا في 31من شهر الطير سنة 1923 ، و تحركت القوات الإيطالية من ترهونة بقيادة غراتسياني ، فاحتلت بني وليد يوم 27 الكانون(ديسمبر) سنة 1923 ، و يعتبر سقوط بني وليد نهاية للمقاومة في المنطقة الجنوبية من طرابلس الغرب حيث تحولت بعد ذلك إلي المناطق القبلية و الجنوبية (14) .

الاتجاه نحو القبلة و الجنوب :

و في نطاق العملية العسكرية الواسعة لاحتلال القبلة و الجنوب ،احتل الإيطاليون غدامس في 5النوار (فبراير) سنة 1924 ، و مزدة في يوم 15 الصيف (يونيو) سنة 1924 ، و سرت يوم 23 الحرث (نوفمبر) سنة 1924(15) .

و بدأت إيطاليا تخطط لاحتلال الواحات الداخلية في برقة (جالو و أوجلة و الكفرة) و عُرفت هذه العمليات باسم عمليات خط 29 ، و قد اشترك غراتسياني في هذه العمليات ، و نلاحظ أن هذه الخطة تهدف إلي احتلال الواحات الداخلية و ربط الإقليمين (16) .

و في نهاية سنة 1929 عمل الإيطاليون علي احتلال فزان ، و قد تمكنت القوات الإيطالية بقيادة غراتسياني من احتلال براك في شهر الكانون (ديسمبر) سنة 1929 ، و أوباري في 2 أي النار (يناير) سنة 1930 ، و غات في 24 النوالنوار (فبراير) سنة 1930 ، و بذلك تم للإيطالين و للمرة الأولي في سنة 1930 عملية احتلال فزان (17) .

القضاء علي المقاومة في الجبل الأخضر

بعد أن أتم الجنرال غراتسياني احتلال فزان ، تلقي أمراً بتعيينه نائباً للوالي في برقة ، و كان الوالي (الحاكم) العام لليبيا آنذاك هو الماريشال بادليو ، و طلب منه التحول إلي مركز عمله الجديد في أقرب فرصة لمواجهة المقاومة في الجبل الأخضر التي كان يقودها عمر المختار ، و قد غادر غراتسياني فزان جواً يوم 24 النوار(فبراير) سنة 1930 متجهاً إلي طرابلس فإيطاليا و منها إلي برقة حاملاً معه خبرته الاستعمارية التي اكتسبها في طرابلس و فزان (18) .

و قد حصل غراتسياني عندما كان في إيطاليا في شهر الربيع (مارس) سنة 1930 من وزارة المستعمرات التي كان يرأسها آنذاك دي بونو علي تأييد تام للحد من سياسة التصالح و مقابلة المقاومة في برقة بالتشدد و العنف ، و إنهائها في أقرب وقت .

و عندما وصل غراتسياني إلي برقة كانت المقاومة علي أشدها لذلك رأي وجوب اتباع سياسة متشددة لإنهاءها ، أدت ـ فيما بعد ـ إلي فواجع و مآس مؤلمة ، فقد قرر اتخاذ الإجراءات التالية لإنهاء المقاومة :

1ـ سياسة التشدد و البطش :

فخلال شهري الربيع (مارس) و الصيف (يونيو) سنة 1930 قام غراتسياني بقفل الزوايا و نفي شيوخها و مصادرة أموالها المنقولة و العقارية ، و قام بإجراءات قاسية لتطهير صفوف الأهالي بقط المرتبات عمن كانوا يتقاضونها من الحكومة فضلاً عن تقديم الكثيرين منهم للمحاكمة بتهمة الخيانة .

كذلك اعتراضه علي من لم يشترك في مكافحة المقاومة و تجريد المواطنين من السلاح و منعه لأي نوع من الإتجار مع مصر لتسهيل القضاء علي عمليات التهريب التي كان لها أثاراً بالغة بالنسبة لإقتصاد الجبل و تغذية حركة المقاومة .

---

(14) معجم معارك الجهاد صفحة 131.

(15) نفس المرجع صفحة 73.

(16) معجم معارك الجهاد صفحة 145.

(17) نفس المرجع صفحة 395.

(18) بعد القرضابية 257.

كون ماسماه (بالمحكمة الطائرة) التي تنتقل بكامل هيئتها تبت في حالات التلبس بالجرائم علي مشهد من المواطنين و إصدار أحكامها بالإعدام التي كانت تنفذ في الحال .

و قد نظرت هذه المحكمة في العام الأول من ولاية غراتسياني في 520 قضية أصدرت بشأنها 119 حكماً بالإعدام نفذت علي الفور ، و 117 حكماً بالسجن لمدد متفاوتة «19» .

و شرع غراتسياني في بناء قوة قوامها 13,000 ألف رجل ، من ألف بين ضابط و ضابط صف ، و ثلاثة آلاف جندي إيطالي ، و تسعة آلاف عسكري من الإريريين ، و ثلاث سرايا دروع محملة علي شاحنات و كتيبة من رجال المليشيا ، و مجموعة مكونة من 500 شاحنة ، و 30 إلي 36 طائرة و قاذفة خفيفة مهمتها مطاردة قوات عمر المختار و محاصرتها و تدميرها «20» .

و قد حاول غراتسياني استخدام هذه القوات في القضاء علي المقاومة التي تنبهت إلي نية العدو فتوزعت إلي مجموعات صغيرة تمكنت من التسلل خلال القوات الإيطالية ففشل الهجوم .

و قد شكك بادليو في قيمة مثل هذه العمليات الواسعة المدي ، و رأي وجوب عزل أهالي الجبل عن المجاهدين ، و هو إجراء قد ينتج عنه هلاك أهالي الجبل ، و لكن بادليو يري وجوب اتباع هذا الإجراء و لو أدي إلي فناء أهالي برقة عن بكرة أبيهم «21» .

و من هنا نشأت فكرة المعتقلات في أرهان القيادات الفاشية ، و ما حل يوم 25 الصيف «يونيو» سنة 1930 حتي قام غراتسياني بنفيذ تعليمات بادليو بإخلاد الجبل عن سكانه و نشأت ما عرفت فيما بعد باسم المعتقلات .

2 ـ المعتقلات :

يبدو إن فكرة المعتقلات فكرة صاحبت الاستعمار الإيطالي لليبيا ، حيث تم تسييج المدن الساحلية المحتلة ، و إخضاعها لنظام المراقبة الشديدة ، فلا يتم الدخول إليها و الخروج منها إلا بتصريح ، فهو نظام يرمي إلي عزل المواطنين و مراقبتهم مراقبة شديدة حتي تسل السيطرة عليهم ، و شملت هذه السياجات أو الأسوار المدن الساحلية ، كما شملت أيضاً مسيجات بتجميع الأهالي المقيمين قرب المدن و الحاميات الإيطالية .

و أقيم نوع آخر من المعتقلات قصد طرد الأهالي و ترحيلهم إلي أماكن بعيدة عن منازلهم و ديارهم ، كنتيجة لاشتداد المقاومة بالجبل الأخضر حتي يتم الفصل بينهم و بين رجال المقاومة ، و تشمل هذه المعتقلات : معتقل التجميع بطلميثة ، ومعتقل المقرون ، و متقل سلوق ، و معتقل الأبيار ، و معتقل العقوبات بالبريقة و العقيلة ، و هي معتقلات حُشر فيها الناس حشراً في ظروف صحية و اجتماعية سيئة قصد منها الإبادة لإخلاء الجبل الأخضر من سكانه ، و إيطان المهاجرين الإيطاليين محلهم، في صورة بشعة تذكرنا بمعسكرات الإبادة التي أقامها النازيون ، و بنزعة صادية لا تقل أبداً عن تلك النزعات التي بدت عند مجرمي الحرب الممعنة في الإنحطاط و الهمجية «22» .

3 ـ الواجبات العسكرية الجديدة :ـ

أدرك الإيطاليون صعوبة الحصول علي نتائج عسكرية ذات بال من خلال المعارك الكبيرة الواسعة المدي ، و اتبعوا بدلاً

---

(19) إعادة الاحتلال الفاشي صفحة 110 .

(20) نفس المرجع صفحة 112.

(21) نفس المرجع صفحة 114.

(22) عمر المختار نشأته و جهاده صفحة 116.

من ذلك استراتيجية استنزاف و إنهاك للقوي طويلة النفس، كانت مقدمتها الأساسية ترحيل الأهالي عن الجبل، و قد أنشيء نظام عسكري يقوم علي توزيع القوات علي أربع مناطق و هي :

1 ـ منطقة البطنان

2 ـ قيادة الجبل

3 ـ قطاع بنغازي

4 ـ منطقة اجدابيا العسكرية .

و كانت قيادة الجبل هي المسئولة عن القتال ضد عمر المختار، و كان علي رأسها اعتباراً من أوائل ناصر « يوليو » سنة 1930 العقيد « جيوسي مالتا » الذي كان يعتبر من خيرة قوات طرابلس، و كان إجلاء الأهالي يسهل إلي حد بعيد مهمة « مالتا » الذي لم يبق عليه إلا تشتيت المقاومة و استنزاف قواها حيث يؤدي قطع المدد عنها إلي انهيارها، لذلك وضع نصب عينيه هدفين :

الأول : تحسين تدريب جنود الوحدات سريعة الحركة، ثم تعويدهم علي تنسيق عملهم في جميع الظروف، و تقوم عملية التنسيق علي الاشتباك مع القوات المعادية التي تصادفها، و قطع الطرق عليها، و منعها من الانسحاب بمبادرة منها و دون انتظارها لنجدات .

الثاني : إيجاد جهاز مخابرات فعّال، و قد تمكن « مالتا » من تشكيل عناصر تعمل مجتمعة كقناصة باستطاعتهم الرد علي الهجمات « 23 » .

4ـ احتلال الكفرة :ـ

لم يبق للإيطاليين بعد احتلالهم فزان بداية سنة 1930 سوي الاستيلاء علي منطقة الكفرة و الناطق الجنوبية المجاورة لها، فهي المنطقة الوحيدة التي لم تصلها القوات الإيطالية، و يبديبدو أن احتلالها عمل تستدعيه دواعي المهابة و الكبرياء، و قد قام الإيطاليون بحشد قوات ضخمة لإنجاز هذه المهمة، فوصلت هذه القوات إلي تازربو في أي النار « يناير » سنة 1931، و لحق بها الجنرال غارتسياني جواً في يوم 12 أي النار و كانت قد أسندت إليه القيادة العامة للحملة .

و قد احتل الإيطاليون التاج في 20 النوار « فبراير » سنة 1931 ثم قاموا بعملية ملاحقة لقوات المجاهدين الذين نزحوا إلي البلدان المجاورة، و انتهت بذلك المقاومة في هذه المناطق الصحراوية الجنوبية « 24 » .

5ـ سد الأسلاك الشائكة :ـ

رأي غراتسياني أنه يعد هناك بعد ترحيل الأهالي مصدر تتزود منه المقاومة إلا الحدود المصرية، لذا أصبح شغله الشاغل القضاء علي التهريب، و من هنا فقد تقرر مد سد الأسلاك الشائكة علي طول حدود مصر يكون من المناعة بحيث لا يضمن تدفق المؤن علي رجال المقاومة، و أنجز السد في شهر الفاتح « سبتمبر » سنة 1931 « 25 » .

«23» إعادة الاحتلال الفاشي لليبياصفحة131.

«24» معجم معارك الجهاد صفحة 444.

«25» إعادة الاحتلال الفاشي صفحة 135.

و يتكون هذا السد من خطوط متشابكة من الأسلاك الشائكة بلغ عرضه عشرة أمتار و طوله 270 كيلو متراً ، و ارتفاعه 1.60 متراً ، و يمتد من ميناء البردية إلي واحة الجغبوب ، و تتخلله ثلاث قواعد رئيسية ، في امساعد و الشقة و الجغبوب وست قواعد فرعية وثلاث مطارات صغيرة، وقاعدة جوية صغيرة في الجغبوب بالإضافة إلي المحطات الهاتفية «26» .

أسر عمر المختار و استشهاده :

و قد أدت الترتيبات السلبقة التي وضعها الفاشيون بموافقة موسوليني و بإشراف دي بونو و بادليو و غراتسياني إلي إخلاء الجبل كالكلاب المسعورة من سكانه ، فتوقف النشاط الزراعي ، و قضي علي الثروة الحيوانية ، وشحت بالتالي الأقوات و المؤن ، عند ذلك أطلقت القوات التي أعدها و جهزهاغراتسياني كالكلاب المسعورة تبحث في كل مكان من الجبل الأخضر عن عمر المختار و رفاقه ، يقودهم الكشافة و فرسان الصواري و السرايا المدرعة و الشاحنات تحمل المؤن و الذخيرة، و الطائرات للكشف و الاستطلاع .

و قد أدت تلك التدابير إلي حصر المقاومة و التضيق عليها بحيث نتج عنها في النهاية أسر عمر المختار في يوم 11 من شهر الفاتح «سبتمبر» سنة 1931 ، و نقل إلي بنغازي يوم 12 الفاتح «سبتمبر» و تعرف عليه كبار الموظفين الإيطاليين ممن سبقت لهم معرفة به ، و انتشر نبأ أسره في ذات اليوم في طرابلس و إيطاليا «27» .

و أسرع غراتسياني الذي كان في روما يوم 14 الفاتح «سبتمبر» بالعودة إلي بنغازي ، و أجريت محاكمة صورية انتهت بالحكم علي عمر المختار بالإعدام شنقاً ، و جري تنفيذ الحكم في سلوق يوم 16 الفاتح «سبتمبر» سنة 1931 علي مشهد من 20 ألف شخص جمعوا خصيصاً لمشاهدة تنفيذ الحكم «28» .

و باستشهاد عمر المختار أخذت المقاومة في الذبول و الإضمحلال إلي أن خمدت جدوتها في النهاية ، و في 24 أي النار «يناير» سنة 1932 أعلن بادليو الحاكم العام علي ليبيا في تصريح رسمي نهاية المقاومة في ليبيا اعترف فيه « أنه للمرة الأولي بعد عشرين سنة من نزولنا بهذه الأرض قد تم احتلال المستعمرتين طرابلس و برقة و تهدئتهما » «29» .

و استمر غراتسياني في منصبه كنائب والي علي برقة و قائد القوات المسلحة بها إلي 31 الماء «مايو» سنة 1934 ، و تولي منصب الحاكم العام لليبيا الماريشال ايتالو بالبو في أي النار «يناير» سنة 1934 بدلاً من الماريشال بادليو ، و قد استمر بالبو في هذا المنصب إلي أن قتل في حادث سقوط طائرة سنة 1942 .

و اشترك الجنرال غراتسياني سنة 1935 في غزو الحبشة رفقة الماريشال بادليو ، و ساهما في العمليات العسكرية لاحتلالها و التي تخللتها أعمال وحشية استخدمت فيها كافة الاسلحة بما فيها الغازات السامة التي راحت تحصد أرواح البشر بصورة بشعة مجردة من الآدمية و عندما جرت محاولة لاغتيال غراتسياني سنة 1937 رداً علي سياسة القمع و الإرهاب التي مارسها ضد الشعب الحبشي ، قام غراتسياني علي إثرها بتنفيذ مذبحة هائلة ذهب ضحيتها أعداداً كبيرة من أفراد الشعب الحبشي .

و عندما أعلنت إيطاليا الحرب علي فرنسا في العاشر من شهر الصيف «يونيو» سنة 1940 كان الحاكم علي ليبيا آنذاك الماريشال إيتالو بالبو و كان تحت إمرته الجنرال غراتسياني قائد الجيش العاشر الإيطالي الذي يتولي الدفاع عن ليبيا .

---

(26) معجم معارك الجهاد صفحة 203.

(27) إعادة الاحتلال الفاشي صفحة 142.

(28) نفس المرجع صفحة 144.

(29) معجم معارك الجهاد صفحة 88.

التوسع الاستعماري الإيطالي :-

أخذت إيطاليا، و قد أتمت احتلالها لليبيا، ترنو بعينيها منذ سنة 1933 إلي الحبشة، و بدأ لموسوليني أن الحبشة التي اعترضت الطريق بين المستعمرتين الإيطاليتين ليبيا و الصومال، و التي كان عنها وفرة مواردها الطبيعية و ضعف قوتها الحربية، بدت له لقة سائغة يمكن أن يبدأ منها تحقيق آماله العريضة و أحلامه الضخمة، و استطاع أن يقنع في أوائل سنة 1935 «بيير لافال» رئيس الوزارة الفرنسية بالموافقة علي هذا الفتح.

و أرسل موسوليني قوات ومعدات حربية هائلة زحفت في شهر التمور (اكتوير) سنة 1935 علي تلك البلاد، و حاول هيلاسلاسي ملك الحبشة الاستنجاد بعصبة الأمم لكنها لم تحرك ساكناً رغم تعرض بلاده لغزو دولة أوروبية تمتلك أحدث الآلات و المعدات كالمصفحات و الطائرات و الغازات السامة.

و تمكن بذلك الإيطاليون من احتلال الحبشة، و ما وفي شهر الربيع (مارس) سنة 1936 حتي كان الإيطاليون قد قضوا علي كل مقاومة حبشية و احتلوا أديس أبابا، و فر هيلاسلاسي، و أعلن موسوليني في 9 الماء (مايو) سنة 1936 ضم الحبشة كلها و نادي بالملك فيكتور عمانويل الثالث ملك إيطاليا إمبراطوإمبراطور علي الحبشة (30).

و قد أدي احتلال الحبشة و ما ترتب عليه من مشاكل دولية إلي تأييد هتلر لموسوليني تأييداً قوياً في تحديه لقرارات عصبة الأمم، و عندما نشبت الحرب الأهلية في إسبانيا سنة 1936 قاما بالتدخل في هذاالصراع لصالح أنصار الملكية بقيادة (فرانكو) مما أدي إلي توثيق عري الصداقة بينهما توثقاً ازداد بمرور الأيام (31).

و في 7 الطير (ابريل) سنة 1939 أرسل موسوليني قواته إلي ألبانيا فاحتلها و في الثامن عشر من ذلك الشهر فرّ ملكها إلي اليونان، و توسعت بذلك الإمبراطورية الإيطالية و أصبح الملك عمانويل يلقب رسمياً (بملك إيطاليا وألبانيا و إمبراطور الحبشة) (31).

و عندما نشبت الحرب العالمية الثانية بعد هجوم هتلر علي بولندا و اكتساحه لفرنسا رأي موسوليني - وقد بهرته انتصارات هتلر- أنه إذا وقف مكتوف الأيدي فسيخرج صفر اليدين، و من هنا فقد أعلن في العاشر من شهر الصيف (يونيو) سنة 1940 الحرب علي بريطانيا و فرنسا كي لا يفوته الظفر بنصيب من الأسلاب التي غدت الآن في نظره سهلة المنال دانية القطوف (33).

و كان موبوليني - عند إعلان الحرب علي بريطانيا - يتطلع إلي القطر المصري تستهويه ثروته و موارده الطبيعية ثم أهمية موقعه و لأن الاستيلاء علي مصر معناه الاستيلاء علي قناة السويس و تهديد مواصلات بريطانيا مع مستعمراتها و دول الكومنولث، بل هو تهديد أيضاً للوجود البريطاني في الشرق الأوسط.

---

(30) تاـ يخ أوربا في العصر الحديث ص 647.

(31) نفس المرجع صفحة 653.

(32) نفس المرجع صفحة 660.

(33) نفس المرجع صفحة 672.

أنشأ البريطانيون في منتصف سنة 1939 قيادة جديدة أطلق عليها قيادة الشرق الأوسط ، و كان سبب إنشاء هذه القيادة الظروف التي جدّت في السنوات الأخيرة من توقع نشوب الحرب إلي ما تعلقه بريطانيا ءائماً علي الشرق الأوسط من أهمية حيوية استراتيجية بالنسبة لمواصلاتها إلي الهند و الشرق الأقصي ، و قد رأت القيادة البريطانية آتخاذ الأهمية و الاستعداد لما عساه يحدث من تطلع موسوليني ـ بعد استيلائه علي الحبشة ـ إلي الشرق الأوسط ، و توقع الهجوم علي مصر، و طلبت القيادة البريطانية مضاعفة القوات (34) .

موقف القوات البريطانية :

كان موقف الجيش البريطاني ضعيفاً إذا ما قورن بقوات الإيطاليين الموجودة فعلاً في برقة فقد كان لدي الجيش الإيطالي تسع فرق ، خمس منها في برقة أي 215 ألف جندي ، و كانت القوات الإيطالية و البريطانية تتكون من فرقتين غير كاملتين ، فكانت النسبة بين القوات البريطانية و الإيطالية 4:1 (35) .

و أطلق علي القوات البريطانية التي تتولي الدفاع عن صحراء مصر الغربية اسم (قوة الصحراءالغربية) و وضعت هذه القوات تحت قيادة الجنرال (ريتشارد أوكونر) الذي استدعي من مقر قيادته في جنوب فلسطين حيث كان يشغل منصب القيادة هناك و يتخذ القدس مقراً لقيادته ، و طار أكونر إلي القاهرة حيث أبلغه الجنرال (ميتلاند ويلسون)
قائد القوات البريطانية في مصر نبأ توليه قيادة (قوة الصحراء الغربية) و مقر قيادتها مرسي مطروح ، و كانت مهمة أكونر كما حددها ويلسون هي حماية القاعدة البريطانية في مصر من أي هجوم إيطالي .

و كانت (قوة قيادة الصحراء الغربية) التي وضعت تحت إمرة أكونر تتكون من الفرقة السابعة المدرعة ، عدا لواءين مدرعين أوثلث الفرق الفرقة ، و الفرقة الرابعة الهندية عدا لواء بالإضافة إلي لواءين آخرين ، و قد أخذت طلائع القوات تراقب الحدود ، و وضع حول (بقبق) لواء هندي ، و أخذت الفرقة الرابعة الهندية في التجمع شرقي مرسي مطروح ، و أعطيت التعليمات لقواد الوحدات الأمامية ـ فيحالة تعرضها للهجوم ـ أن تقاتل متراجعة في بطء عاملة علي إنزال أفدح الخسائر بالعدو دون أن تعرض نفسها لخسائر كبيرة (36) .

التهيؤ للقتال :

و عندما اجتاح الألمان بولندا في أول الفاتح (سبتمبر) سنة 1939 ، و دخلت بريطانيا الحرب ضد ألمانيا أخذ البريطانيون في تنفيذ الخطط التي وضعت للدفاع عن الإسكندرية و قناة السويس ، و بدأت القوات من المستعمرات و دول الكومنولث في الوصول إلي بورسعيد ، فوصلت الفرقة الأول الأسترالية ، و القوات من جنوب أفريقيا ، و نيوزلندا ، و غيرها من بلدان الإمبراطورية ، و بديء في إعدادهم للمعركة بالتدريب علي استخدام أسلحتهم الجديدة ، و تزويدهم بالمعلمين و الوحدات الأخري ، و إرسالهم إلي المدارس العسكرية ، ثم تنظيمهم و استكمال حاجتهم من الفنيين و الأخصائيين ، و اتجه البريطانيون بعد ذلك إلي تحسين الدفاعات في الدلتا ، و وجدوا أن العلمين هي خير مكان لمقابلة أي هجوم من الغرب ، و أخذوا في إرسال دوريات لاجتياز الصحراء و استكشافها و تمكنوا بذلك من العمل علي تعويد الجنود علي السير في الصحراء و معرفة خصائصها فاعتادوا عليها و ألف الجميع العمل فيها (37) .

---

(34) معارك الشزق الاوسط صفحة 26.

(35) نفس المرجع صفحة 29.

(36) معارك الشرق الاوسط صفحة 40.

(37) نفس المرجع صفحة 35 .

انهيار فرنسا :

و أسفرت معركة فرنسا عن انهيارها وخروجها من الحرب نهائياً ، و دخول إيطاليا الحرب و تولي تشرشل رئاسة الوزارة البريطانية ، و مناشدته الإمبراطورية مواصلة الحرب ، و ندائه الموجه إلي المستعمرات يحثها علي بذل المعونة للنهوض بأعباء الحرب .

و كانت القوات لدي البريطانيين قليلة و تكاد تفتقر إلي كل ماهو ضروري من المعدات و المواد الحربية ، إبّان هذه الأسابيع المليئة بالكوارث : سقوط هولندا ، و استسلام الجيش البلجيكي ، و اقتحام خط ماجينو ، و الانسحاب من دنكرك ، و تقهقر الجيوش الفرنسي الفرنسية و انهيارها .

و أدي انهزام بولندا و انهيار فرنسا إلي تحسين موقف ألمانيا الاستراتيجي في أوروبا ، إذ أخلت الطريق أمام جناحيها الأيمن و الأيسر .

و ضاعف موقف البريطانيين حرجاً إعلان موسوليني الحرب في 10 الصيف (يونيو) سنة 1940 ، و كأنه وقع أمر إعدامه وفناء إمبراطوريته ، لقد دخل الحرب ـ كما يري شيانو ـ وزير خارجيته مدفوعاً بكرهه لفرنسا ، و سعياً وراء اقتسام الغنائم دون المساهمة في الأخطار (38) .

كما أدي سقوط فرنسا أيضاً إلي تحويل الأسطول البريطاني في البحر الأبيض المتوسط إلي الإسكندرية ، وتحولت القوافل التي كانت من بريطانيا إلي طريق رأس الرجاء الصالح بدلاً من مرورها في البحر المتوسط ضماناً للأمن ، ثم ينقلونها بعد ذلك إلي البحر الأحمر و قناة السويس و منها إلي الإسكندرية ، و كانت قناة السويس تمثل نقطة إرتكاز بريطانيا العظمي الاستراتيجية .

و معني هذا أن النجدات التي كانت تصل في مدي إسبوعين أصبحت تقطع المسافة في ثلاثلاثة أشهر ، و هذا يؤدي إلي البطء و إلي مضاعفة عدد السفن و كانت قليلة (39) .

موسوليني يعلن الحرب :

أدرك (ويفل) قائد عام الشرق الأوسط عندما أعلن موسوليني الحرب في 10 الصيف (يونيو) سنج 1940 ، أن الحرب ربما امتدت إلي الأراضي المصرية إذا حاول الإيطاليون الاستيلاء علي الإسكندرية و قناة السويس مهددين بذلك مصر باعتبارها شرياناً حيوياً بالنسبة لمواصلات بريطانيا إلي الهند و الشرق الأقصي .

و قدرت هيئة أركان حرب ويفل أن غراتسياني لن يستطيع التقدم بأكثر من فرقتين في الخط الأمامي بالنسبة لحالة المواصلات و التموين في الصحراء ، و رأي ويفل أنه حالة تقدم القوات الإيطالية فإن من الواجب علي اللواء طليعة الفرقة المدرعة السابعة إزعاج و إرباك القوات المتقدمة ، مسبباً لها الخسائر ما استطاع ، متجنباً الخسائر لنفسه .

و في نفس اللليلة التي أعلنت فيها إيطاليا الحرب علي بريطانيا و فرنسا وصلت الدوريات المدرعة البريطانية إلي الحدود ، اخترقت السلك الشائك (سلك غراتسياني) و هاجمت القوات الإيطالية فأوقعت الرعب في تلك القوات ، و أزعجت القوافل المختلفة دون أن تلحقها خسائر في الرجال أو الآليات ، و كانت المفاجأة أن بعض الأسري لم يدرك أن هناك حرباً ،

---

(38) معارك الشرق الاوسط صفحة 39.

(39) نفس المرجع صفحة 41.

وأسرت الدوريات في مدي أسبوع 250 أسيراً ، و 17 دبابة خفيفة ، و 50 سيارة ، و 50 طائرة ، فكانت بداية موفقة أدت إلي انسحاب الإيطاليين مؤقتاً من خط الأسلاك ، ومن قلعة « كابتزو » فرفعت هذه الإنتصارات من معنوية جنود الصحراء ، و قدر غراتسياني قوات ويفل بفرقة ميكانيكية و ثلاث فرق مشاة ، و لواء هندي « 40» .

هجوم غراتسياني علي مصر :-

في أوائل الفاتح «سبتمبر» سنة 1940 أتم الجنرال غراتسياني حشد الجيش العاشر الإيطالي علي حدود مصر الغربية ، ثم قام بالهجوم في صباح 13 الفاتح « سبتمبر» و تقدمت القوات الإيطالية و عبرت الحدود ، بينما أخذت القوات البريطانية خطة تقوم علي الانسحاب إلي مرسي مطروح و تنفذها الفرقة المدرعة السابعة التي كان عليها الانسحاب إلي مكان أعِدّ لها جنوبي مرسي مطروح مطروح كي تكون علي استعداد لتسديد الضربات إلي جناح الإيطاليين في حالة تقدمهم ، و قد استغل البريطانيون أساليب التمويه لتضليل الإيطاليين عن مكان الفرقة المدرعة و عن قوتها الحقيقية لأنها كانت تنقص لواءين و كانت خسائر الإيطاليين فادحة إذا ما قيست بخسائر البريطانيين « 41» .

و تابعت القوات الإيطالية تقدمها تحت قيادة غراتسياني ، و لم تمض أربعة أيام حتي كانت ست فرق و ثمانية أفواج من الدبابات قد تقدمت مسافة ستين ميلاً إلي سيدي براني ، أثلج ذلك صدر موسوليني الذي لم يشاهد علي تلك الحالة من السرور التي بدأ عليها آنذاك . و لكن الجيش الإيطالي توقف عند سيدي براني و ظل غراتسياني ثلاثة أشهر يرفض فيها التقدم بينما يصر موسوليني علي القيام بهجوم خاطف علي المواقع البريطانية في مرسي مطروح «42» .

لقد كان توقف الإيطاليين عند سيدي براني مفاجأة للبريطانيين ، و اختلفت الآراء في تعليل الأسباب التي أدت إلي وقفتهم هذه إذ لم يكن من اليسير استنتاج مبرراتها ، هل كانت بسبب نقص المياه ؟ أو النقص في الحملة الميكانيكية؟ أو لأن جناح الجيش الايطالي معرض لمذفع البحرية البريطانية؟ أو خشية انتقضاض الفرقة المدرعة على الجناح الأيمن؟.

إن الجنرال غرستياني نفسة يقول : إنه كان ينتظر إتمام مد أنابيب المياه من البردية «43».

مسألة مالطا:-

دخلت إيطاليا الفاشستية الحرب في 10 الصيف « يونيو» سنة 1940 ، و كان موسوليني كثيراً ما يشيد بعظمة قواته المسلحة و مقاتليه الذين يبلغون ثمانية ملايين و الذين يمتازون بالشجاعة و رباطة الجأش .

و بعد الإنتهاء من معركة فرنسا أخذ الخبراء في توجيه أنظارهم إلي مالطا ، فربما تحاول إيطاليا الاستيلاء علي هذه القلعة الحصينة التي تهدد مواصلاتها مع الشرق و شمال أفريقيا ، و لتصبح خطوة أولي في تأسيس الطريق إلي ممتلكاتها الشرقية في أفريقيا ، و لذلك كان يجب أن يكون هدفها الأول هو الاستيلاء علي مالطا و استنصال هذه الشوكة من جسمها « 44» .

و كانت مالطا محور احتلال مصر بحكم موقعها بين صقلية و قواعد المحور في ليبيا ، و كانت القاذفات و الغواصات و السفن الحربية تعمل من هذه القاعدة و تنزل الدمار بالبواخر الايطالية التي تحمل الرجال و العتاد إلي شمال أفريقيا ، و مع ذلك لم تقم إيطاليا بالحركات المتوقعة للاستيلاء علي مالطا و بخاصة أنها اعتبرت البحر الأبيض ملكاً لها « 45» .

---

(40) معارك الشرق الاوسط صفحة 47.

(41) نفس المرجع صفحة 56.

(42) بينتو موسوليني صفحة 196.

(43) معارك الشرق الاوسط صفحة 56.

(44) معاوك الجيش الالماني في الغرب ص144

(45) تاريخ ألمانيا الهتلرية جـ3 صفحة537.

و كانت بريطانيا ـ بعد استسلام فرنسا ـ العدو الوحيد في ذلك الحين ، و كان الهدف السوقي «الاستراتيجي» الخطير هو البحر الأبيض المتوسط ، و كانت بريطانيا في أمس الحاجة للطريق البحري القصير من جبل طارق ماراً بالسويس ، و هو بمثابة الشريان للإمبراطورية و لهذا السبب كانت تحتفظ بمالطا مهما كان الثمن .

كان لإيطاليا مستعمرات في شمال أفريقيا و شرق أفريقيا ، و كان عليها أن تدافع عليها ، و كانت ألبانيا و إيطاليا نفسها غير مهددتين و لذلك كان كل ما عليها هو حماية مواصلاتها مع مستعمراتها و قطع طريق بريطانيا البحري المار بالسويس ، و كان هذا يتطلب منها الهجوم و الآستيلاء علي مالطا «46» .

و كان ميزان القوي يميل في ذلك الوقت لصالح إيطاليا فقد كان التفوق الجوي الإيطالي في منطقة البحر المتوسط مطلقاً ، وكان تفوق أسطولهم علي الأسطول البريطاني في البحر المتوسط تاماً كذلك ، و لم يبق سوي عامل الوقت الذي يمكن أن يقلل من شأن هذا التفوق بالنسبة لإيطاليا و عليه فإن العمل الفوري من الأمور الجوهرية في مثل هذه الحالة .

و قد كان لمالطا دائماً وضعاً استراتيجياً هاماً باعتبارها مكاناً يتحكم في خطوط المواصلات بين الشرق و أوروبا و أفريقيا ، و قد احتلها البريطانيون سنة 1800 و جعلوا منها قاعدة من أقوي القواعد البحرية و الجوية في إمبراطوريتهم ، و بسط ضباط البحرية البريطانية و الطيران نفوذهم في مختلف مظاهر الحياة في الجزيرة ، كما غيّرت السفن البريطانية من صورة الميناء ، فقد تم بناء أحواض للسفن و ورش للصيانة و الإصلاح في هذا الميناء الطبيعي ، و هي لا تبعد أكثر من 50 ميلاً عن صقلية ، و قد سخرت هذه القلعة من إدعاء موسوليني بأن البحر المتوسط عبارة عن بحيرة إيطالية ، و قد أثبتت أن البحر المتوسط ما هو إلا بحر لبريطانيا العظمي العظمي ، و كان علي أي قوة تريد نقل جنودها عبر هذا البحر أن تقهر مالطا أو تدفع الثمن غالياً .

و قد قال نائب أمير البحر «أسمان» الألماني : « لو كان الإيطاليون يابانين لبدأوا الحرب في 10 الصيف « يونيو» بالهجوم علي مالطا و ذلك لأهمية مالطا الاستراتيجية ، و بعد أن دخل الإيطاليون الحرب اكتفوا بمحاولة إخضاع القلعة البريطانية في البحر المتوسط بالضرب من الجو فقط غير أن هجومهم الجوي لم يكن له تأثير كبير فلم تقصف قصفاً شديداً بل كانت ضربات خفيفة متفرقة مثل وخز الدبابيس » .

و كان الألمان هم أول من اقترح الاستيلاء علي مالطا في 19 هنيبال «اغسطس» سنة 1940 إلا أن الإيطاليين رفضوا و لم تدرك القيادة الألمانية الإهمية العظمي لهذه الجزيرة إلا فيما بعد .

أما بالنسبة للبريطانيين فقد عرفوا قيمة جزيرة مالطا الاستراتيجية فأرسلوا إمدادات كبيرة إليها لمنع استيلاء الإيطاليين والألمان علي الجزيرة «47» .

و كان البريطانيون يرسلون بواخر شحن إلي مالطا تحت حراسة مشددة صحبة عدد من السفن الحربية و حاملة للطائرات تحمل الطائرات للجزيرة بينما تحمل سفن الشحن الجنود و العتاد و المؤن حيث تقوم الطائرات البريطانية بعد ذلك من مالطا فتهاجم قوافل التموين الإيطالية المتجهة إلي شمال أفريقيا ، و لم تكن السفن و لا الطائرات الإيطالية تشكل تهديداً كبيراً لمثل هذه القوافل «48» .

«46» معارك الجيش الالماني في الغرب ص 146.

«47» ثعلب الصحراء جـ 1 صفحة 153.

«48» ثعلب الصحراء جـ 1 صفحة 156.

الاستعداد للمعركة المقبلة

أعطي جمود غراتسياني في موقعه عند سيدي براني لأعدائه البريطانيين ـ و هم شعب يتميز بالذكاء و المثابرة و العمل الدؤوب ـ الوقت ليستعدوا لمواجهة أي تقدم آخر للإيطاليين فأقاموا دفاعاً جيداً عن مصر حشدوا له القوات من كافة أنحاء الإمبراطورية البريطانية .

الموقف بعد الهجوم الإيطالي :

ـــ أدي الهجوم الإيطالي علي مصر إلي ازدياد أهمية الدفاع عنها جوياً و بحرياً و بخاصة الإسكندرية و السويس .

ـــ أتخذت إجراءات أمن مشددة لمقاومة أعمال التجسس و التخريب ، مدت أنابيب للنفط من السويس إلي الإسكندرية حيث كان ينقل بالسفن من الخلية الفارسي إلي السويس .

ـــ أصبح علي القيادة البريطانية أن تواجه قوات تفوقها بنسبة 4 : 1 ، و أن تعالج النقص في الذخيرة و المعدات و العتاد والآليات «49» .

ويفل :

ولد «ارشيبلد ويفل في 5 الماء سنة 1889 ثم انضم إلي كلية «ساند هرست» حيث تخرج منها و عُين في سنة 1901 ضابطاً، التحق بعدها بكلية أركان الحرب ، و خاض بعد تخرجه منها غمار الحرب العالمية الأولي .

عمل بعدها رئيساً لهيئة أركان الفيلق العشرين في فلسطين ، ثم تولي قيادة اللواء السادس للمشاة ، فقيادة الفرقة الثانية مشاة سنة 1935 ، و استلم في هنيبال«اغسطس» سنة 1937 القيادة بفلسطين .

و كانت الاضطرابات في فلسطين ـ في ذلك الوقت ـ علي أشدها ، و أبدي ويفل وجهه القبيح بما اتخذه من إجراءات لقمع العرب تمثلت في تنظيم «جماعات الليل الخاصة» التي يقودها الميجر «ويجت» مستعيناً في ذلك باليهود و بالكلاب المدربة في تتبع رجال المقاومة العرب ، و قد فرضت هذه الجماعات علي البلاد حكم الإرهاب و أدت إلي قتل الكثيرين من العرب .

و قد أُثيب «وينجت» علي ما قام به بوسام الإمتياز . و رد العرب عليه ببث الألغام في طريقهم فسببت لهم خسائر كبيرة كان من بينها ابن ويفل نفسه ، و أطلق العرب علي الجنرال ويفل لقب «الواغل في دماء الشرق» بسبب هذه الأعمال«50» .

وفي سنة 1937 أسندت إلي ويفل القيادة في جنوب انجلترا ، و في سنة 1939 تلقي أمراً بالسفر إلي القاهرة لتولي قيادة الشرق الأوسط التي كان مقرها هناك .

الحرب في الصحراء :

أخذ البريطانيون في العمل بجد لفهم خصائص الصحراء و كيفية العمل في أجوائها ، و عن أفضل السبل التي يمكن سلوكها للاستفادة من خصائصها و أجوائها ، فتعاملوا معها عن قرب و تجولوا في أرجائها ليسبروا أغوارها ، و جربوا آلاتهم و وسائلهم الحديثة في الظروف الصحراوية المختلفة ، فأدركوا أهمية الوسائل الميكانيكية في الصحراء التي تمتاز باتساع أرجائها ، و التي

«49» معارك الشرق الاوسط صفحة 44.

«50» معارك الشرق الاوسط صفحة 23.

تعطي مجالاً كبيراً للمناورة و تختلف اختلافاً كلياً عن حرب المواقع الثابتة ، و توصلوا إلي آراء حديثة في الحرب الصحراوية عجز الإيطاليون عن الوصول إليها إلي ما يضاهيها فأصيبوا بهزيمة فادحة .

و قد وضع البريطانيون قواعد و ترتيبات تناسب الحرب الصحراوية و تمكنهم من الانتصار اعتمدوها و قرروا العمل بها . أخذت القيادة البريطانية تعمل لكسب الوقت و خاصة أن اتساع الصحراء يخلق ظروفاً حسنة للقيام بالمناورة ، و لذلك فقد قررت الانسحاب و التخلي عن الأرض فعملت بذلك علي تقصير خطوط مواصلاتها و إطالة خطوط مواصلات العدو فيسهل بذلك تهديدها .

و كان أمام البريطانيين عدو يفوقهم في المعدات و السيارات الحديثة و الطائرات فكان عليهم أن يتجنبوا القتال العنيف في هذه الحالة ، و أن يقتصدوا ما استطاعوا في وسائل النقل و السيارات المقاتلة « 51» .

و أدرك البريطانيون خصائص الصحراء تلك المساحات الشاسعة التي تتطلب في الحروب الحديثة الوسائل الآلية التي تهيء لها سرعة الانتقال و خفة الحركة و هما عماد النصر في تلك المساحات الشاسعة .

و قد تنبه البريطانيون إلي أهمية الحملات الميكانيكية في الحروب الحديثة و بالذات في الصحراء و شغلتهم المشاكل المتعلقة بها مثل : تموينها ، و توفير الأعداد اللازمة منها ، و توفير الأيدي العاملة لإصلاحها ، و أثر قسوة الصحراء علي ماكينة السيارة و لوالبها و إطارتها ، و أهمية توفر قطع الغيار الخاصة بها ، و سرعة استهلاك السيارة بحيث قدر الخبراء عمر السيارة في الصحراء بمعدل ثلث عمرها في الظروف الأخري « 52» .

كما كان يعتمد في نقل المياه إلي الجنود علي الحملات الميكانيكية ، فأدرك البريطانيون من باديء الأمر إن الماء هو الآخر عامل حيوي في عمليات الصحراء فعملوا علي مد أنابيب المياه من الفرع الغربي للنيل إلي مرسي مطروح .

مجموعة الصحراء بعيدة المدي :

و في نهاية شهر الصيف « يونيو» سنة 1940 ألفت «مجموعة الصحراء بعيدة المدي» و اختير لها قائد خبير بالصحراء في سنوات ما قبل الحرب هو الكولونيل « جانبولد» و زودت بالسيارات و مدافع الماكينة و اللاسلكية ، و اختار لها جانبولد الجنود و دربهم علي العمل في الصحراء ، و مهمتها هي الاستكشاف و جمع المعلومات عن الأماكن الصحراوية غير المطروقة من قبل .

و قد تم التوسع في هذه المجموعة بعد ذلك ، و كان من مهامها إثارة الاضطراب خلف خطوط العدو و استطاعوا الاستيلاء علي واحة الكفرة بمساعدة الفرنسيين ، و تمكنوا بذلك من إ زعاج غراتسياني أثناء تقدمه إلي مصر « 53» .

و قد كُلفت مجموعة الصحراء بعيدة المدي بالقيام بأعمال التخريب و المخابرات في الصحراء ، و يقابلها عند الألمان قوة « براندبرج» للعمل خلف خطوط العدو ، و كانت «مجموعة الصحراء بعيدة المدي» البريطانية مشكلة من فدائيين متطوعين ومقرهم في واحة سيوه ، ثم بعد ذلك في واحة الكفرة ، و من مقر قيادتهم هذا كانوا يقومون بغاراتهم الجريئة خلف خطوط الأعداء بمئات الأميال ، و من أعمالهم البارزة الهجوم علي مطارات العدو التي تقع علي بعد 350 ميلاً خلف تلك الخطوط ،

«51» معارك الشرق الاوسط صفحة 46.

«52» نفس المرجع صفحة 47.

«53» معارك الشرق الاوسط صفحة 51.

و كانوا يقومون بغاراتهم في عربات خفيفة و قليلة و لمدة طويلة تصل إلي أسابيع ، حيث يصلون إلي مطارات العدو و يدمرون كل مقاتلة و قاذفة في المطار ، و ينسفون مستودعات البترول ، و ينزلون بالاعداء خسائر فادحة مع أخذ بعض الأسري أثناء عودتهم آلي كهوف واحة سيوة.

و من ضمن العمليات الجريئة التي قامت بها وحدات المجموعة تلك العملية التي جرت في شهر الحرث « نوفمبر» سنة 1941 و التي كان الغرض منها قتل أو أسر « رومل» قائد الفيلق الأفريقي و لكن المحاولة رغم جسارتها انتهت بالفشل «54».

و في أواخر سنة 1941 شكل الجنرال «أوكنك» ما يعرف باسم طوابير «جوك» و هي عبارة عن قوات خفيفة الحركة مشكلة من عدد من الدبابات و العربات المدرعة و المشاة الميكانيكية تحمل معها كمية من الوقود و الذخيرة و تعيينات تكفيها لمدة أسبوع ، و شكلت هذه القوات تحت قيادة العميد «جوك كامبل» و كانت مهمتها التوجه إلي مؤخرة العدو و مهاجمة كل شيء هناك ، و في خلال يومين أو ثلاثة كان لديه عشرون أو أكثر من هذه المجموعات خلف خطوط العدو تحرق و تدمر ثم تنطلق هاربة ، لتعود بعد ذلك فتقيم الكمائن في الوديان للدبابات و تحطم خطوط التليفونات ، و تهاجم قوافل التموين والمطارات و تحصل علي المعلومات ، و كان هذا كسباً للوقت حتي يتمكن الجيش الثامن من إعادة تنظيم قواته «55».

و قد قامت «مجموعة الصحراء بعيدة المدي» بمحاولة جريئة أخري في الفاتح «سبتمبر» سنة 1942 عندما رأي العقيد «جون هاهاسليدن» قائد مجموعة الصحراء بعيدة المدي أن بإمكانه توجيه ضربة قاتلة إلي إمدادات رومل و خاصة الوقود ، و ذلك بنسف مستودعات البترول الضخمة في طبرق ، و وجدت هذه الخطة كثيراً من المؤيدين و سرعان ما كبرت الخطة الأصلية فلم يعد الأمر مقصوراً علي القيام بنسف مستودعات النفط بل كذلك ورش الإصلاح الموجودة في طبرق ، و كان ذلك يتضمن تدمير وحدات الصيانة التي تقوم بإصلاح دبابات رومل و عرباته ، و فشلت هذه العملية أيضاً بعد أن قتل « هاسليدن» قائد مجموعة الصحراء بعيدة المدي «56» .

إن إنشاء الوحدات الخاصة مثل «مجموعة الصحراء بعيدة المدي» و «طوابير جوك» قد نتج عن نشاطها تأثير عكسي ، فقد أنشأ الألمان قوات « البراندبرج» للعمل خلف خطوط العدو ، و قامت بنفس المهام من حرق و تدمير خلف خطوط البريطانيين ، و كانت هذه القوات هي القوات المضادة لمجموعة الصحراء بعيدة المدي و طوابير جوك ، و تمكنت من الوصول في مهامها الجريئة إلي مشارف القاهرة ، و العمل خلف قيادات العدو ، و نسف الكباري ، و إنشاء مراكز التصنت ، و إنزال الخسائر الفادحة بالعدو خلف خطوطة «57».

خطة الفداء علي غراتسياني

مرت الأسابيع و الشهور و مازال غراتسياني جامداً في موقعه عند سيدي براني فأعطي ذلك فرصة للبريطانيين للتجهيز وحشد القوات ، فأحضروها من كافة أنحاء الإمبراطورية ، و الأهم من ذلك إحضارهم للقوات الميكانيكية « و من ضمنها مدرعات كثيرة» إلي الجبهة في مصر ، و كانت المدرعات البريطانية متفوقة للغاية علي المدرعات الإيطالية من حيث النوع والتسليح«58».

---

(54) ثعلب الصحراء جـ 1 صفحة 71.

(55) نفس المرجع 1 صفحة 144.

(56) ثعلب الصحراء جـ 3صفحة 374.

(57) نفس المرجع صفحة 110.

(58) مذكرات رومل جـ 2صفحة 3.

عملية البوصلة :ـ

و أخذت القوات البريطانية في إعداد خطة تقضي بها علي غراتسياني ثم تتهيأ بعدها للهجوم ، و بدأت في دراسة المواقع الإيطالية ، فأرسلت دوريات الاستكشاف الأرضي و الجوي التي أفادت أن العدو قد أجري تحصين ثلاث مجموعات من المعسكرات في جبهة سيدي براني ، تسير بانحراف مبتدئة من « المقتلة » إلي الشمال الشرقي قريباً من الساحل ، إلي « نبيوة » في الوسط ، ثم إلي « صوفاتي » في الجنوب الغربي ، و قد حُصنت المعسكرات بحقول الألغام والأسلاك الشائكة و الحفر المضادة للدبابات ، فكانت المعسكرات موزعة علي مساحات شاسعة تجعل المعاونة بينها عسيرة « 59 » .

و رأي ويفل في بداية الأمر الهجوم علي طرفي الجبهة الإيطالية التي تمتد مسافة خمسة و أربعين ميلاً في الصحراء ، فتهجم الفرقة المدرعة السابعة علي معسكرات الإيطاليين في « صوفاتي » في الجنوب الغربي ، و الفرقة الرابعة الهندية علي معسكرات العدو في شرق سيدي براني ، فإذا نجح الهجوم تقدمت الفرقة المدرعة لاستغلال النجاح شمالاً ، و الفرقة الرابعة الهندية إلي الساحل غرباً .

و وافق الجنرال أكونر علي خطة ويفل مع تعديل طفيف ، إذ كان يفضل الهجوم علي معسكرات الوسط ، لأن معسكرات صوفاتي قوية تستعصي علي الهجوم بالمواجهة ، مع تثبيت المعسكرات علي الجانبين بقوات صغيرة ، و وافق ويفل علي الخطة.

أما موعد الهجوم الذي يجب أن يتم في ضوء القمر ، فقد تقرر تحديد موعده في الأسبوع الأول من ديسمبر بدلاً من نهاية أكتوبر أكتوبر إتباعاً لرأي قائدي الفرقة السابعة و المدرعة و الفرقة الرابعة الهندية حيث أن بعض الوحدات لم تكن استكملت التدريب و التسليح ، و لحاجة السيارات للإصلاح .

و أطلق علي هذه الخطة اسم « عملية البوصلة » و رأي ويفل أنه لما كان العدو يتفوق عليه عددياً فقد قرر مفاجأة العدو والتزام خداعه و تضليله ، و لهذا لم يعلن الخطة لأكثر من ستة من مرؤوسيه « 60 » .

ثغرة نبيوة :ـ

و قد اكتشف الجنرال « أكون ـ » بعد دراسة الأرض ، و من تقارير المخابرات ما سُمي فيما بعد بثغرة « نبيوة » و أدرك أهميتها التكتيكية العظيمة و استغلها إلي أقصي حد ، فأمر أن تمر منها وحدات الفرقة االرابعة الهندية ، و تستولي علي المعسكرات الشمالية من الخلف متجنبة بذلك خطر الهجوم عليها مواجهة خلال حقول الألغام ، و كُلفت الفرقة المدرعة بأن لا تسمح للعدو بإنشاء نقطة في « ثغرة نبيوة » و إبقائها مفتوحة ، فلما حاول الإيطاليون ذلك في منتصف نوفمبر أُجبروا علي الا نسحاب تاركين للبريطانيين السيطرة عليها .

و عندما قامت الف ـ قة المدرعة السابعة بإرسال دوريات تجوب منطقة العمليات التي تقرر الهجوم عليها حتي تساعد علي رسم خريطة دقيقة للمنطقة ، اكتشفت هذه الدوريات أن الإيطاليين قد اهتموا ببث حقول الألغام و الحفر المضادة للدبابات في مواجهة المعسكرات فقط أما حولها من الأجناب و الخلف فكان خالياً منها ، و قد استكشف الموقع قواد الألوية المكلفة بالخطوط الأولي في المعركة قبل العملية بإسبوعاً دون أن يعرفوا سر الخطة إلا في الساعات الأخيرة .

«59» معا ـ ك الش ـ ق الاوسط صفحة 63.

«60» معا ـ ك الش ـ ق الاوسط صفحة 60.

و أجري البريطانيون في نهاية نوفمبر تمريناً تكتيكياً علي معسكرات هيكلية صنعت قريباً من مرسي مطروح مطابقة تماماً لمعسكرات « نبيوة» و« طومار» ، و اشتركت في الهجوم عليها الفرقة الرابعة الهندية ، و دبابات المشاة ، و لم يعرف أحد من الجنود سر هذا التمرين باستثناء عدد قليل جداً و ذلك حتي تضمن السرية ، و تتحقق تبعاً لذلك المفاجأة ، و هو ما توخاه البريطانيون ، و أصدر الجنرال « ويلسون» قائد القوات البريطانية في مصر عقب مذكرة عن الهجوم علي المعسكرات فيها بعض الملاحظات أعلن في ختامها عن نيته في إعادة هذا التمرين في تاريخ تاريخ يحدد فيما بعد .

و قد قرز ويفل بعد أن إطمئن علي خطط سيدي براني أن يبذل جهده في استغلال الفوز في المعركة المقبلة في مطاردة لا هوادة فيها ، و قد أكد له أركان حربه في إدارة العمليات أنه لا يمكن إجراؤها إلا لمدة أربعة أو خمسة أيام علي الرغم من تحسين موارد المياه و البترول و المركبات و الذخيرة في المنطقة الأمامية ، و لكن هناك أمل في الانتفاع بما يستولي عليه من العدو ، فأصدر أمره باستغلال الغنائم إلي أقصي حد « 61» .

و 4 الكانون « ديسمبر» سنة 1940 ناقشت قيادة الشرق الأوسط خطة سيدس براني و تولي الجنرال « أكونر» بيان تفاصيل الخطة ، ثم شرح مندوبو البحرية و الطيران الدور الخاص بكل منهما في هذه المعركة .

فكان علي البحرية أن تبدأ ضرب سيدي براني في الليل قبل الهجوم ، و نظراً لتفوق الإيطاليين في الطائرات بنسبة 1:4 فقد تقرر المبادرة بضرب طائرات العدو و هي جاثمة في المطارات حتي يجبر العدو علي اتخاذ وضع الدفاع ، ثم إزعاج حركته بمهاجمة جنوده و سياراته خلف خطوط الجبهة « 62» .

---

(61) معارك الشرق الاوسط صفحة 64.

(62) نفس المرجع صفحة 67.

الهزيمة في براني

خطة المعركة :

كانت الخطة البريطانية بسيطة و جريئة، إذ تتطلب ضبط المناورة في الصحراء مع توخي الدقة التامة في تنفيذ المواعيد المرسومة لسير الاقتراب و للفتح و التشكيل الفعلي للمعركة.

و كانت القوات البريطانية تتكون من الفرقة السابعة المدرعة، و الفرقة الرابعة مشاة الهندية، و كتيبة دبابات ثقيلة هي الكتيبة السابعة، و لواءين مشاة بريطانيين، و كان مجموعها 31 ألفاً من الجنود و تشمل علي 275 دبابة منها 35 دبابة ثقيلة «63».

أما القوات الإيطالية الموجودة في الجبهة فكانت تتألف من حوالي أربع فرق يبلغ عدد جنودها 80 ألفاً، و خصصت إحداها للدفاع عن المعسكرات الشمالية و رئاستها في براني، و وضع جزء من فرقة أخري في معسكرات صوفاتي، و الجزء الآخر بصفة إمداد لفرقة الشمال و مقر رءاستها في بقبق، و وضعت فرقة ثالثة بالحلفاية علي الحدود، و احتلت الفرقة الأخيرة وهي فرقة «ماليتي» المدرعة «نبيوة» و كانت تساندها 120 دبابة، و أخذ الجنرال الجنرال غراتسياني قائد الجيش العاشر الإيطالي مقر قيادته في البردية علي بعد خمسين ميلاً خلف الجبهة «64».

و قد قامت القوات البريطانية بتحركها من منطقة تجمعها حول مرسي مطروح إلي الثغرة بين نبيوة و صوفاتي، و لقد ساعدت الظروف هذه القوات في الوصول إلي الثغرة إذ كان الجو عاصفاً مليئاً بالغبار بحيث حجب الرؤية فلم تظهر في الجو أي طائرة إيطالية، و لعل الهجوم علي المطارات قد أفاد في ذلك، و كان علي هذه القوات التقدم مسافة ستين ميلاً في أرض مكشوفة إلي نقطة التجمع جنوبي «ثغرة نبيوة» بسرية تامة حتي لا يكتشفها العدو «65».

و كانت مسافة الاقتراب حوالي ستين ميلا، لذلك أصبح من الضروري إجراء التحرك خلال ليلتين متواليتين بحيث لا يجري أي تحرك في النهار ضماناً للسرية.

و لم تغادر التشكيلات و الوحدات مناطق حشدها حول مرسي مطروح حتي آخر وقت ممكن، و تم التحرك ليلتي «8,7» الكانون «ديسمبر» علي أن يتم في الخمسة عشر ميلاً الأخيرة في ضوء القمر حتي يسهل توزيع القوات القوات المشتركة في المعركة بحسب المواقع المحددة «66».

و هكذا كانت القوات البريطانية في ليلتي «9,8» في خط الهجوم دون أن يدري العدو عنها شيئاً.

و كانت الخطة البريطانية تقوم أساساً علي الهجوم بلواءين من الفرقة الرابعة الهندية تعاونها كتيبة دبابات، و عد اجتيازها ثغرة نبيوة، و ذلك فجر يوم 9 الكانون «ديسمبر» تلف الفرقة شمالاً ثم شرقاً لاقتحام معسكر نبيوة من الخلف - أي من الغرب - و بعد الاستيلاء عليه تقوم بإجراء هجوم ثان من الغرب أيضاً علي طومار و «النقطة90» و مهاجمتها علي التوالي ثم استغلال النجاح بالتقدم شمالاً.

و كان واجب الفرقة السابعة المدرعة إبان هذه الفترة الحاسمة من الهجوم هو ستر الفرقة الرابعة الهندية و حماية جناها الخارجي «أو الغربي» و مراقبة العدو في صوفاتي، و تثبيت حماية سيدي براني و منعها من القيام بهجوم مضاد علي الفرقة الهندية، فإذا أخفقت الخطة كان عليها أن تستر إنسحاب الفرقة الهندية. أما في الشمال فكان واجب قوات مرسي مطروح

«63» م ـ ك ـ ات ـ ومل جـ 2صفحة 5.

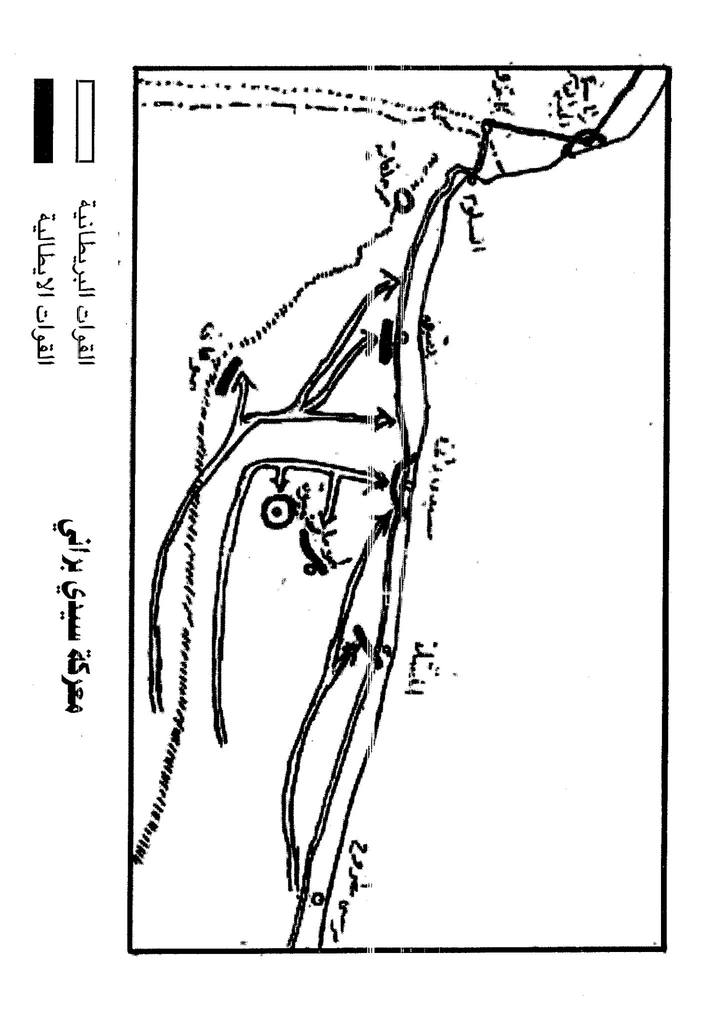
«64» معا ـ ك الش ـ ق الاوسط صفحة 68.

«65» نفس الم ـ جع صفحة 70.

«66» التا ـ يخ العسك ـ ي صفحة 31.

أن تتقدم علي الطريق الساحلي لتثبيت حامية «المقتلة» و «نعها من حماية «طومار» و «النقطة90» أثناء» هجوم الفرقة الهندية عليها.

و ابتدأت المعركة ولم يكن هناك من الاحتياطي لمواجهة الطواري تحت الجنرال «أكونر» سوي لواء من الفرقة الرابعة الهندية ، و سربين من الطائرات المعاونة «67».



(67) معا_ك الش_ق الاوسط صفحة 70.

معركة سيدي براني :-

و في فجر يوم 9 الكانون « ديسمبر» سنة 1940 انطلق الهجوم البريطاني مباغتاً كالعاصفة ، و قد مهد الطيران للهجوم فقامت كل طائرة متيسرة للبريطانيين من كل الأنواع بضرب المواقع الإيطالية ، و المطارات ، و خطوط المواصلات ، و الآليات ، كما قامت أسراب المعاونة الجوية بالاستطلاع و ضرب الأهداف الأرضية .

و في نفس الوقت قام الأسطول البريطاني بضرب المقتلة و سيدي براني و خط المواصلات البري غرباً حتي السلوم .

و تقدمت المشاة البريطانية من الشرق تساندها الدبابات الثقيلة و أخذت تهاجم المواقع الإيطالية في سيدي براني و كان ذلك يتمشي من الناحية الزمنية مع القوات الملتفة القائمة بالهجوم ، و استمر كذلك قصف الأسطول البريطاني للمواقع الإيطالية و انقض كل ذلك علي الإيطاليين كالصاعقة .

و مع مرور الوقت بدأت نتائج التحركات البريطانية ، و ما نتج عنها من انتصارات مذهلة في الظهور ، فقد سقط مسكر نبيوة و تم أسر 4000 آلاف جندي ، و استمرت الفرقة الرابعة الهندية في تقدمها شمالاً و أمامها الكتيبة السابعة دبابات و أخذت تهاجم القوات الإيطالية في سيدي براني نفسها ، أما الفرقة السابعة المدرعة فقد بلغت بقبق و قطعت بذلك طريق الارتداد علي الإيطاليين غرباً « 68» .

و أخذ مع مرور الوقت يزداد عدد الأسري ، و كميات الغنائم من مهمات و مركبات و محروقات ، و مياه في أيدي البريطانيين ساعة بعد أخري ، و بعد ثلاثة أيام من بدء المعركة سُحقت تماماً قوات الجيش الإيطالي في منطقة سيدي براني ، وأبيدت ثلاث فرق في الحال ، و لم ينج من هذا التدمير سوي فرقة واحدة .

إسباب الهزيمة في سدي براني :-

_لم يختر غراتسياني الأرض المناسبة للدفاع لأن منطقة سيدي براني لم يكن بها مواقع طبيعية مما اضطره إلي إطالة المواجهة «45 ميلاً » و لم تكن قواته كافية لشغل مثل هذا الخط ، لذا ترك ثغرة بدون قوات « حوالي 20 ميلاً » استغلها البريطانيون ليمروا منها و يطوقوا جميع القوات الإيطالية في سيدي براني .

_ أقيمت المعسكرات الإيطالية في سيدي براني بطريقة تعذر معها التعاون فيما بينها ، و كانت الدفاعات ضعيفة و تفتقر إلي العمق الكافي و إلي الموانع ، و بخاصة المواقع ضد الدبابات ، و أهتم الإيطاليون بالدفاع عن الشرق و الجنوب و أهملوا الدفاعات من الشمال و الغرب فساعد ذلك علي سرعة انهيار هذا الموقع .

_ كان الدفاع في سيدي براني عبارة عن خط غير حصين ، متقدم و مثبت في الصحراء ، تربض فيه معظم القوات الإيطالية .

_ لم يستغل الإيطاليون خفة حركة مجموعة « ماليتي» المدرعة بوضعها في الموقع الأول للدفاع ، فحرم علي غراتسياني من استخدامها كاحتياطي خفيف الحركة يستخدمه في الوقت المناسب لصد الاختراق أو التطيق.

_ لم يقم الايطاليون بإخفاء أو تمويه أوضاع قواتهم فظلت مكشوفة مما سهل على البريطانيين الاستطلاع والحصول على المعلومات الكاملة عن دفاعات سيدي براني «69».

«68» مذكرات روميل جـ2صفحة 4.

«69» التاريخ العسكري صفحة 40.

المطاردة:-

كانت معركة سيدي براني أول فوز للبريطانيين في الحرب العالمية الثانية ، و جاءت نتيجة لعمليات هجومية جريئة ، و يعود الفضل في هذا الانتصار إلي ويفل صاحب الخطة الأساسية بما اتخذه من إجراءات راعي فيها السرية فحققت له الانتصار ، وإلي أوكونر الذي عدّل خطة ويفل ، و اكتشفُ الثغرة واستغلها في القضاء علي القوات الإيطالية .

لقد نجح ويفل في تحويل الهجوم الذي أراده إغارة علي نطاق واسع ، إلي هجوم عام و مطاردة أدت إلي تدمير الجيش العاشر الإيطالي تماماً ، و إلي طرد الإيطاليين من مصر و من برقة .

و أخذ غراتسياني يتقهقر ببقايا جيشه العاشر تلاحقه الفرقة المدرعة السابعة ، وفي نهاية الأسبوع « أي في يوم 1940/2/16 » كان قد وصل إلي الحدود الليبية منهك القوي بعد أن خلف وراءه 38 ألف أسير ، و 240 مدفعاً ، و 70 دبابة ، إلي جانب المركبات و البترول و المواد الأخري ، و لم يفلت من الفرقة السابعة سوي فرقة واحدة « 70 » .

وكان من الواضح ان الانتصارات البريطانية قد أدت إلى إصابة الايطاليين بالسلل، فانسحبوونهم في البردية وطبرق، وانتظروا التصرف الذي سيفعلة أعداؤهم « 71 » .

استمرار المطاردة :

حثت الحكومة البريطانية ويفل علي مطاردة الإيطاليين في برقة لاستثمار النصر الذي حصل عليه دون أن يصرفه ذلك عن أي هدف آخر . و كانت مشكلة التموين تلح علي القيادة البريطانية إلي الاستعانة بالأسطول البريطاني في إخلاء الأسري .

البردية :

و اتجه البريطانيون بعد ذلك إلي البردية ، و ظهروا أمامها في 19 الكانون « ديسمبر » ، و قد علموا أن المدينة قوية التحصين و يدافع عنها عدد من الفرق ، و لم يشأ ويفل أن يخاطر بالهجوم عليها قبل تمام الاستعداد ، و ذا أمرت الفرقة المدرعة السابعة بتفادي البردية و الاتجاه إلي طبرق لقطع الطريق بين المدينتين ، و طلب من البحرية و الطيران دك دفاعات البردية « 72 » .

و في 3 أي النار « يناير » سنة 1941 قامت الفرقة السادسة الاسترالية بالهجوم لأول مرة لها في هذه الحرب ، بعد أن حلت محل الفرقة ارلابعة الهندية ، و قد اقتحمت المشاة الاسترالية البردية تحت ستر من قنابل السلاح الجوي و قذائف الأسطول ، فأدي ذلك إلي سقوط القلعة في أيدي المهاجمين بما فيها من موارد المياه و البترول . ثم أسر 45 ألفاً من الجنود و الاستيلاء علي 462 مدفعاً .

طبرق :

و استمر الجيش البريطاني في المطاردة بالتقدم نحو الغرب و حوصرت طبرق في 6 أي النار « يناير » سنة 1941 بواسطة الفرقة المدرعة السابعة ، و لم تهاجم بالفعل إلا بعد حشد الفرقة السادسة الاسترالية التي بدأت هجومها في 21 أي النار « يناير » أي بعد أسبوعين ، و بحلول الصباح الباكر من اليوم التالي كانت المقاومة قد انتهت تماماً ، و تم أسر 30 ألف جندي و معهم 236 مدفعاً « 73 » .

---

(70) معارك الشرق الاوسط صفحة 71.

(71) مذكرات رومل جـ 2 صفحة 6.

(72) معارك الشرق الاوسط صفحة 73 .

(73) مذكرات رومل جـ 1 صفحة 7.

عند مفترق الطرق :

تقدمت القوات البريطانية بعد استيلاءها علي طبرق متجة إلي الغرب و هي تطارد الفلول الإيطالية المنسحبة أمامها، فوجدت نفسها عند مفترق طريقين.

الأول: طريق الساحل الممهد، و تلال الجبل الأخضر، و الذي يصل إلي بنغازي.

و الثاني : يقع علي زاوية قائمة إلي المخيلي، و هي ملتقي هام للدورب الصحراوية في الجنوب الغربي، ثم يسير مخترقاً بقعة جرداء لا ماء فيها في محاذاة سفح الجبل الأخضر إلي اجدابيا حيث يلتقي بالطريق الساحلي من بنغازي إلي طرابلس «74».

و تقع تلك البقعة من برقة علي انحناء كبير يجعل من المتعر الدفاع عنها ضد عدو قادم من الشرق أو الغرب، لأن المهاجم يستطيع أن يفصلها و يعزلها دائماً بقطع طريق الصحراء القصير المار عبر خط درنة المخيلي و مسوس ثم اجدابيا «75».

و كان الجيش العاشر الإيطالي يتراجع سريعاً و بغير انتظام عبر الطريق الساحلي، و لم يدرك الإيطاليون أهمية الأقصر الممتد جنوب الجبل الأخضر، فدل سلوكهم هذا علي قصور الحس الاستراتيجي لديهم، إذ لم يتبينوا أهمية هذه الطريق وخطورتها.

و أدركت القيادة البريطانية أهمية هذه الطريق، فأرت من الأفضل قطع خط الرجعة علي القوات الإيطالية المنسحبة عبر الطريق الساحلي جنوب بنغازي، و ذلك بالتقدم خلال خط درنة ـ المخيلي ـ مسوس ـ اجدابيا، و الضغط علي الجيش الإيطالي المتراجع و كيْل الضربات له علي الطريق الساحلي بكل قوة، فتابعه أوكونر بالفرقة الاسترالية، و أرسل الفرقة المدرعة السابعة إلي المخيلي ثم سمح لها بأسبوع تستجم فيه و تصلح سياراتها و تتأهب بعد التموين للعمل.

و وُجد أنه لو وصلت قوة صغيرة إلي اجدابيا قبل الإيطاليين لأمكن من إحراز نتائج باهرة، و كان هذا القرار في حاجة إلي موافقة من قيادة الشرق الأوسط، و خاصة أن بعض المختصين أبدوا مخاوفهم من هذا الطريق الذي لا يعرفون عنه شيئاً، والذي يحتاج إلي ترتيبات إدارية خاصة، و لكن القيادة البريطانية في الشرق الأوسط قررت القيام بالعملية.

و كان علي الفرقة المدرعة السابعة بناء علي ذلك أن تسير عبر الطريق الصحراوي حتي تصل إلي الطريق الساحلي المتجه إلي طرابلس ثم تتجه شمالاً إلي بنغازي، أما الفرقة السادسة الاسترالية فتسير عبر الطريق الساحلي في أعقاب الإيطاليين بكل قوة«76».

استسلام بقايا الجيش العاشر الإيطالي:

و سارت الفرقة السادسة في أعقاب الإيطاليين و تمكنت في 6 النوار «فبراير» من الاستيلاء علي بنغازي.

أما الفرقة المدرعة السابعة فسارت عبر طريق المخيلي ـ مسوس في رحلة سريعة و طولها 150 ميلاً، و بدلاً من الاتجاه شمالاً اتجهت إلي الجنوب و احتلت «بيضافم» و هو موضع يقع علي بعد 30 كم شمال شرق الزويتينة بمنطقة اجدابيا «77».

و قفلت الطريق الساحلي الموصل إلي طرابلس، فقطعت بذلك خط الرجعة علي جيش غراتسياني أو ما تبقي منه تلك في يوم 7 النوار «فبراير» سنة 1941، و استسلم للفرقة السابعة المدرعة 20 ألف جندي، و 216 مدفعاً، و 120 دبابة.

«74» معارك الشرق الاوسط صفحة 78.

«75» معارك الجيش الألماني صفحة100.

«76» معارك الشرق الاوسط صفحة 78.

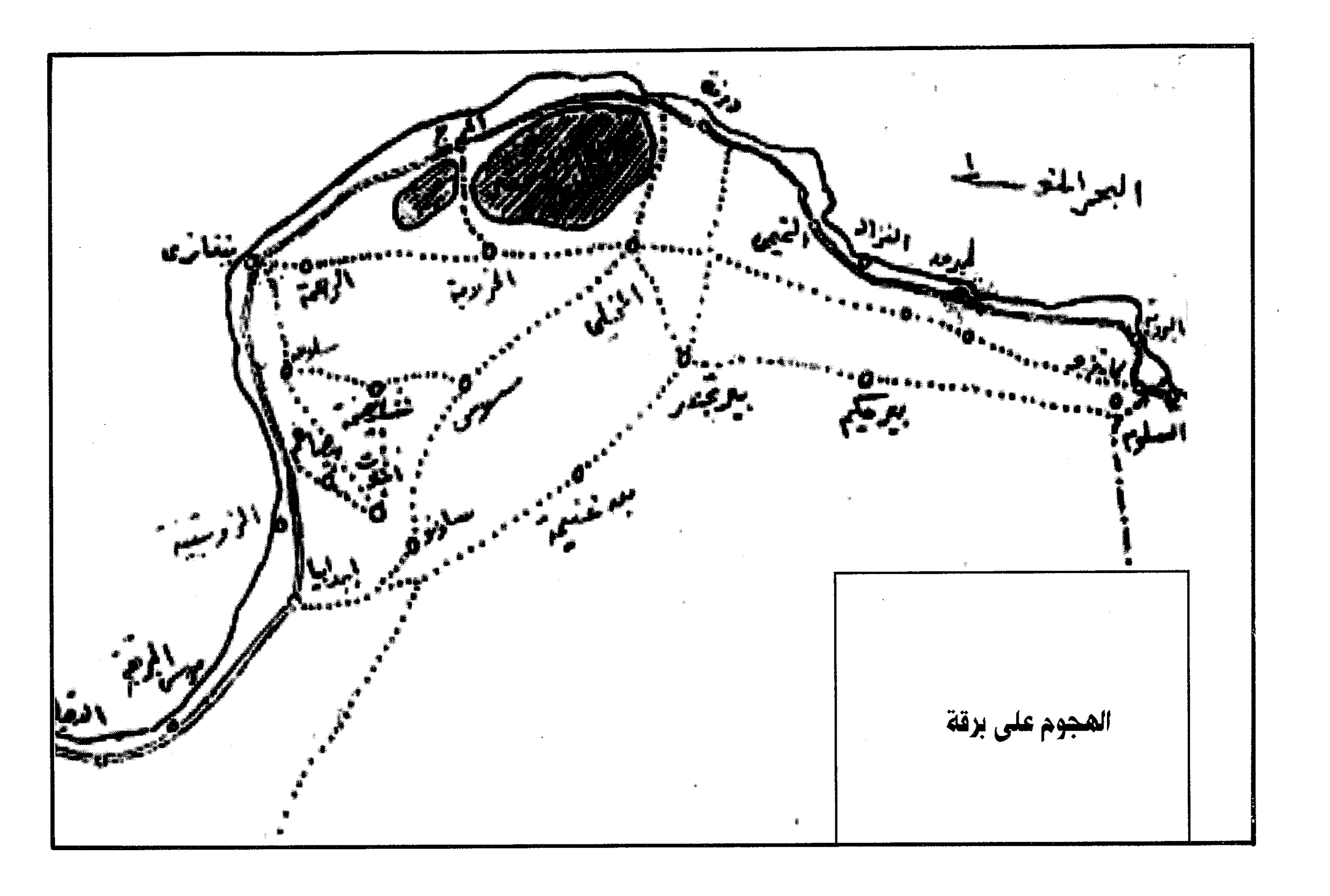
«77» معجم معارك الجهاد صفحة 181.

و في يوم 8 النوار «فبراير» احتلت القوات البريطانية القائدة العقيلة، و كان جيش غراتسياني قد أبيد تماماً، و لم يبق منه إلا بعض قوات السيارات و جماعات من الجنود العزل من السلاح، و كانت تفر بأقصي سرعة نحو الغرب، و قد امتلأت قلوبهم بالرعب من واقع الهزيمة، و بلغت خسائر الإيطاليين 130 ألفاألفاً من الأسري، و 1300 مدفع، و 400 دبابة، كما نزلت بالسلاح الجوي الإيطالي هزيمة قاصمه علي يد السلاح الجوي البريطاني و خسر أغلب طائراته و منشآته الأرضية «78».

و كان البريطانيون يتحرقون شوقاً بعد انتصارهم الباهر لمواصلة الزحف إلي طرابلس خاصة و أن القوات الإيطالية الباقية هناك كانت في حالة ذعر شديد نظراً لما حل بالجيش الإيطالي، و كانت تتوقع قدوم الدبابات البريطانية في كل لحظة «79».

و لم يوقف زحف البريطانيين علي طرابلس إلا للصعوبات التي واجهوها في اليونان بسبب نزول القوات الألمانية في يوغسلافيا، و اجتياحها اليونان فيما بعد، مما خلق وضعاً صعباً بالنسبة للقوات البريطانية، و كان ذلك سبباً كافياً لكي يأمر «ونستون تشرشل» رئيس وزراء بريطانيا آنذاك بإيقاف الزحف علي طرابلس «80».

«78» مذكرات رومل جـ 2 صفحة 9.
«79» معارك الشرق الاوسط صفحة146.
«80» نفس المرجع صفحة 150.



الهجوم على برقة

صدى إبادة الجيش العاشر الايطالي:

أحدثت هزيمة الإيطاليين في سيدي براني ، و ما ترتب عليها من إبادة الجيش العاشر الإيطالي و استسلام بقايا قواته شمال اجدابيا ، أصداءً واسعة المدي ترددت في كافة أنحاد العالم ، و قد أبدي المختصون و المهتمون بالشؤون العسكرية والسياسية ، من حلفاء إيطاليا و خصومهما آراءهم بشأن هذه الهزيمة ، في محاولة منهم لتفسيرها و بيان أسبابها .

تعليق :

و قد علق « وليام شيرر » في كتابه « تاريخ ألمانيا الهتلرية » علي هزيمة الإيطاليين بما يلي:
و هكذا تمكنت قوة بريطانية صحراوية قليلة العدد يبلغ عددها 31 ألف جندي من إخراج قوات إيطاليية تبلغ ثلاثة أضعافها من الأراضي المصرية في مدة ستة أيام ، و كان الهجوم البريطاني بدأ في التاسع من الكانون « ديسمبر » سنة 1940 ، و تمكن في مدي ثلاثة أيام من إلحاق الهزيمة بقوات غراتسياني ، و تحول الهجوم المضاد إلي هجوم عام دام حتي السابع من فبراير سنة 1941 ، و تمكن الجيش البريطاني في هذا الهجوم من إبادة جيش إيطالي كامل يضم عشرة فرق في ليبيا ، و يقول الكاتب العسكري المعروف « فولر » « إن هذه الحملة من أغرب ما شهده تاريخ الحروب من حملات » « 81 » .

تعقيب موسوليني:

و قد عقب موسوليني علي الانتصار في سيدي براني مدهوشاً من وقع الكارثة أو صريحاً علي غير عادته ، و أجمل الموقف قائلاً « لقد مُحي الجيش العاشر و سرب رجيا من الوجود » و كان قوام السرب أربعمائة أو خمسمائة طائرة « 82 » .
و كان موسوليني يقارن ـ فيما بعد ـ بين كل من روميل الذي يقاتل في دبابته المكشوفة و بين غراتسياني الذي كان يقبع في قبوه الروماني الذي يُهبط إليه بسبعين درجة تحت الأرض .
و قد أمر موسوليني بمثول غراتسياني أمام محكمة للتحقيق ، فقضت بلوم ذلك الرجل الذي لم يعد يحس موسوليني تجاهه إلا بالازدراء علي تصرفه « 83 » .

رأي الخبراء في هزيمة القوات الإيطالية :

رأي الجنرال وستفال: "84"

وقد أرجع الجنرال وستفال هذه الهزيمة الي اسباب أهمها: لم يكن للقوات المسلحة ولا للشعب الإيطالي أهداف حربية يسعون إلي تحقيقها ، كما لم يهيء الجنود لخوض غمار حرب ضد خصم أوروبي مسلح بأسلحة حديثة مما أضعف إنجازاته .
و كانت قوات الدبابات الإيطالية رديئة جداً في الردع ، و في قوات النيران ، و في قدرتها علي المناورة في المناطق الوعرة ، كما كانت المدفعية المضادة للدبابات ضعيفة القدرة علي اختراق الدروع ، و كانت قصيرة المدي سيئة تسديد النيران ، و كانت المدفعية المضادة للطائرات كلها أقل مستوي لما لدي البريطانيين و كان معظمها من غنائم سنة 1918 .
و كانت عجلات التموين للقطعات غير ملائمة تماماً ، و لهذا كان يتعذر حمل كميات كافية من العتاد .

---

(81) تاريخ ألمانيا الهتلرية جـ3صفحة 365.

(82) معارك الشرق الاوسط صفحة 81.

(83) بنيتو موسوليني صفحة 202.

(84) الجنرال سيغفريد وستفال عمل ضمن هيئة أركان الحرب في شمال أفريقيا،وعين سنة 1942 رئيساً لأركان الجيش المدرع فيها.

و كانت الضباط بجنودهم ضعيفة ، و كان الضباط القدماء مدربين و لكن تعوزهم وسائل حرفتهم .

أما الأسطول ـ برغم ضخامته ـ فكانت سفنه مبنية بدرع ضعيف من أجل زيادة السرعة ، و لم يتدرب ملاحوه تدريباً كافياً علي الحرب الليلية التي أصبحت من مميزات الحرب الحديثة «85».

رأي الماريشال كيسلرنغ: "86"

و أرجع الماريشال كيسلرنغ أسباب هزيمة الإيطاليين إلي الأمور الآتية :

لم يُبدِ الإيطاليون اهتماماً جيداً بالحرب و لا بجنودهم في الميدان و افتقرت أعمالهم إلي العزيمة الحقة .

كما لم تستغل إيطاليا كل طاقتها البشرية إلي الحد الأقصي في الجهد الحربي للوصول بالحرب إلي النهاية المظفرة و النصر .

ضعف التشكيلات للنقص في التدريب سواء علي مستوي الوحدات أو بين الأسلحة المقاتلة .

ضعف مستوي الضبط و الربط و يرجع ذلك لعدم تحمس الجندي إلي القتال لضعف العلاقة بينه و بين الضباط الذين كانوا يعيشون في عزلة عن جنودهم ، لذلك فقدوا السيطرة عليهم في المعركة «87».

رأي الماريشال رومل :

لحرب المستعمرات ، و كانت معداته قديمة ، فالدبابات و السيارات المدرعة ضعيفة جداً و مدي عملها قصير، و المدفعية من طراز الحرب العالمية الأولي ، و المشاة تفتقر إلي الحملات الميكانيكية و لذلك فقدت مرونتها اللازمة لحرب الصحراء «88».

---

(85) معارك الجيش الألماني صفحة150.

(86) الماريشال كيسلرنغ من ضباط سلاح الجو الألماني تولي قيادة القوات الألمانية في إيطاليا ثم نقل بعد ذلك إلي الجبهة الغربية .

(87) التاريخ العسكري صفحة39.

(88) مذكرات رومل جـ 2 صفحة 1.



الجزء الثاني

دخول الألمان إلى حلبة الصراع

الانتصارات الألمانية الأولى

دخول الألمان إلي حلبة الصراع وجدت إيطاليا نفسها في بداية سنة 1941 أي بعد هزيمتها في شمال أفريقيا و محو الجيش العاشر في شمالي اجدابيا ، في أحرج المواقف و لم تمض علي دخولها الحرب ستة أشهر .

و تأثر الإيطاليون بهذه الهزيمة تأثراً كبيراً بحيث ظل موسوليني و جنرالاته فس روما يرتعدون من الرعب بعد الحملة التي شنها البريطانيون عليهم لمدة 92 يوماً .

و أصبح من المتعذر علي ألمانيا و هي حليفة إيطاليا أن تبقي متفرجة فقط ، بينما كان لا يزال هناك أمل في التخلص من الكارثة المحدقة بالعمل الموقوت ، خاصة و أن ألمانيا أخذت الآن تزيد من مسؤوليتها في إدارة الحرب في البحر المتوسط ، و كان من واجبها أن تحول دون تردي الموقف في شمال أفريقيا «89» .

و رأي الإلمان أن خسارة شمال أفريقيا يمكن احتمالها من الناحية العسكرية ، و لكن ذلك سيكون له تأثير سيء علي الإيطاليين ، و من هنا فقد رأوا بذل الجهود لضمان بقاء شمال أفريقيا ، و قرروا إشراك سلاح الطيران الألماني مع قوة مناسبة من الجيش تقدر بفرقتين مدرعتين، وعين الجنرال إروين رومل قائداً عاماً للقوات الألمانية في إفريقيا «90» .

رومل يتولى القيادة:

ولد إروين رومل سنة 1891 و عين برتبة ضابط سنة 1912 ، خاض غمار الحرب العالمية الأولي ، و حصل علي وسام الصليب الحديدي من الدرجتين الأولي و الثانية ، و تمكن فيما بين الحربين العالميتين من دراسة الحرب دراسة وافية ، مكنته من الإلمام بأهمية الحرب الميكانيكية ، مما كان له الأثر في حياته العملية بعد ذلك .

و عندما نشبت الحرب العالمية الثانية تولي قيادة الفرقة لسابعة المدرعة التي اشتركت في غزو فرنسا ، و في أوائل سنة1941 عُين قائداً للقوات الألمانية التي أرسلت إلي ليبيا ، ليوقف انهيار القوات الإيطالية ، و يساعد بقواته علي الاحتفاظ بطرابلس التي توشك علي السقوط في أيدي القوات البريطانية « 91» .

و في يوم 12 النوار « فبراير» سنة 1941 وصل رومل إلي طرابلس حيث حطّت طائراته ظهراً جنوب المدينة ، و أُخبر أن الجنرال غراتسياني تخلي عن القيادة و سلمها إلي رئيس أركانه الجنرال « غاريبولدي» و وصفت لرومل بعض الحوادث المخزية التي وقعت أثناء الانسحاب أو بالأحري « الهروب» ، فقد ألقت القوات الإيطالية أسلحتها و ذخيرتها ، و تسلقت السيارات المحملة في محاولة يائسة للهروب نحو الغرب ، و كانت الروح المعنوية منهارة إلي أقصي درجة في الدوائر العسكرية في طرابلس ، و كان أغلب الضباط الإيطاليين قد حزموا أمتعتهم بأمل الرحيل بسرعة إلي إيطاليا «92» .

«89» معارك الجيش الالماني في الغرب ص ١٩٠ .

«90» ثعلب الصحراء جـ 1 صفحة 11»

«91» معارك الشرق الاوسط صفحة 184.

«92» مذكرات رومل جـ 2صفحة17.

عيسى يوسف اللموشي

الهجوم الأول لرومل :

قام رومل علي الفور باستطلاع جوي لطرابلس و مناطق الجبهة ، و وجد أن خط البريقة مرادة مناسب لإقامة خط دفاعي به لعدم صلاحيته لتحركات القوات الآلية ، و أن نقطة الضعف فيه هو أنه في إمكان أي قوات مهاجمة أن تلتف علية من الجنوب و يحتاج في هذه الحالة إلي دفاع سيار من القوات الميكانيكية لدحر ذلك الهجوم الممتد عبر الصحراء .
و كان رومل يخشي أن يدعم البريطانيون قواتهم في هذا الخط فتصعب مهاجمتهم و ردهم علي أعقابهم ، و لذلك قرر أن يهاجم هو أولاً و قد خشي الإيطاليون من هذه الخطوة و هم لايزالون تحت تأثير الهزيمة ، و حاولوا أن يثنوه عنها ، و لكنه قرر المضي في خطته ، و أقنعهم بأن هجومه سيكون عبارة عن غارة علي نطاق واسع و ليس هجوماً عاماً .
قامت القوات الألمانية بالهجوم علي القوات البريطانية المتمركزة علي طول خط البريقة ، مرادة يوم 13 الربيع « مارس» سنة 1941 ، و أخذت القوات البريطانية في الانسحاب ، و في مساء يوم 4 الطير « ابريل» احتلت القوات الألمانية مدينة بنغازي ، و واصل الألمان هجومهم فاستولوا علي المخيلي و درنة ، و قد حدث ـ لسوء حظ البريطانيين ـ أن سقط الجنرال أوكونر قائد قوات الصحراء الغربية في أسر القوات الألمانية ، و كان ويفل قد أرسله في الثاني من الطير « ابريل» من القاهرة لكي يعمل علي انقاذ برقة ، و عندما كان يتجه في ليلة السادس من الطير « ابريل» إلي التميمي مركز القيادة البريطانية الجديد ضل طريقه و وصل إلي طريق درنة الشمالي ، حيث‌حيث التقت مركبته بمركبة ألمانية أطلقت عليه النار و تمكنت من أسره ، و خسر البريطانيون مجهود ذلك الرجل الذي يعد من أكبر الخبراء في حرب الصحراء ، و العقل المفكر في حملة شمال أفريقيا « 93» .
و واصلت القوات الألمانية تقدمها فبلغت طبرق ، و هي الهدف الرئيسي من الهجوم ، فقد كانت ميناءً كبيراً و قاعدة للتموين ، و مفتاح مصر ، و في 10 الطير« ابريل» حاولوا الاستيلاء عليها و لكن المقاومة العنيدة التي أبدأها البريطانيون حالت دون ذلك ، و استمر هجوم الألمان فسقطت البردية في أيديهم في 11 الطير« ابريل» و احتلوا كابتزو في 13 منه ، و احتلوا بعدها السلوم « 94.
و هكذا استعاد رومل في مدة خمسة عشر يوماً كل ما استولي عليه ويفل في مدة خمسين يوماً ، مع استثناء واحد هو عدم تمكن القوات الألمانية من الاستلاء علي طبرق و ظلت هذه القلعة الحصينة في يد البريطانيين .
و أصبح هذا التقدم السريع خطيراً في هذه المرحلة لأنه صار همنك جبهتان : جبهة في الشرق علي امتداد خط السلوم ـ البردية ، و الثانية جبهة الحصار علي طبرق ، و كانت طبرق هدف الحركات لكلا الخصمين و كانت القيادة البريطانية رتمي إلي سرعة نجدتها ، بينما كان هدف رومل القضاء علي هذا الحصن المنيع للعدو ، و الكائن خلفه قبل وصول النجدة إليه « 95» .

معركة البلطة :

و كان البريطانيون هم الأسبق في الهجوم لإنقاذ قلعتهم المحاصرة ، فشنوا في صباح 15 الصيف« يونيو» هجوماً علي القوات الألمانية عرف باسم « معركة البلطة» قصد منه تدمير القوات الألمانية المدرعة في منطقة السلوم ـ البردية ، ثم احتلال ممر حلفاية و إعادة المواصلات مع طبرق « 96» .

«93» ثعلب الصحراء جـ 1 صفحة 21.
«94» نفس المرجع صفحة 24.
«95» معارك الجيش الألماني في الغرب ص156.
«96» ثعلب الصحراء جـ 1 صفحة 46.

و تمكن البريطانيون من الستيلاء علي كابتزو و إمساعد ، و هُددت البردية و لكنهم لم يستطيعوا الاستيلاء علي ممر حلفاية وهو طريق استراتيجي بالغ الاهمية لسيطرته علي طريق الإمدادات للمعركة التي تخوضها الدبابات في منطقة البردية ، ولذلك كان كل شيء يتوقف علي احتلال هذا الممر ، و قام الألمان بعد ذلك بالهجوم علي القوات البريطانية في منطقة البردية و ممر حلفاية و أدي هجومهم إلي إحباط الهجوم البريطاني و إلي إلي تداعي الجبهة البريطانية ، و أجبر ذلك البريطانيون علي الانسحاب الذي أدي إلي تقهقر غير منظم يوم 27 الصيف« يونيو » ، و استمرت المعركة لمدة ثلاثة أيام ، و بذلك انتهت معركة البلطة التي تعد من أكبر معارك المدرعات التي رأتها الصحراء حتي ذلك الوقت ، و انتهت بهزيمة البريطانيين « 97 » .

الهجوم المضاد الثاني للبريطانيين

أدت هزيمة البريطانيين في معركة البلطة إلي عزل ويفل عن قيادة الشرق الأوسط و تعيين الجنرال« أوكنك» بدلاً منه ، وقد أدت الخسائر الفادحة التي مُنيت بها القوات البريطانية إلي تأملهم لتكتيكات قوات روومل المدرعة ، و تنظيمها و تسليحها ، مما أدي إلي إدخال تعديلات جوهرية علي أسلوب و تنظيم قواتهم في الصحراء .

و رأت القيادة البريطانية إعادة تنظيم « قوات الصحراء الغربية» و إنشاء قوة قوة جديدة عرفت « بالجيش الثامن البريطاني» الذي أصبح يتكون من الفيلق 13 و الفيلق 30 و الفرقة 70 و احتياطي عام «98» .

و ازداد نتيجة لذلك موقف روومل حرجاً لوقوفه أمام جبهتين ، جبهة السلوم ـالبردية ، و جبهة طبرق ، و لتوليه الجحفل المدرع الأفريقي الذي يضم القوات الألمانية بالإضافة إلي القوات الإيطالية ، و كان عليه أن يستخدم هذه القوات لمهاجمة طبرق ، و يوقف التهديد الموجه إلي الجانب الأيسر لجبهته ، كما أقلقته التنظيمات و التغيرات التي كان البريطانيون يجرونها علي قواتهم ، و تعيين قائد جديد هو أوكنك لقيادة هذه القوات ، و حدث ما توقعه روومل فقد شن البريطانيون في 18 الحرث« نوفمبر» هجوماً أحدث مفاجأة تامة للألمان «99» .

معركة الكروسيدر " المقاتل الصليبي " :

حقق الهجوم الذي شنه البريطانيون يوم 18 الحرث (فبراير) سنة 1941 مفاجأة تكتيكية تامة ، فقد اتبع البريطانيون في تحضيراتهم أسلوباً تمويهياً رائعاً أدي إلي فشل قوات المحور في اكتشاف التحضيرات لهذا الهجوم فقد فرض البريطانيون صمتاً تاماً علي أجهزة اللاسلكي و وحدات الإشارة منع قوات المحور من اكتشاف تحركهم إلي مناطق الحشد ، علاوة علي ذلك أنهم قصروا تحركاتهم علي فترة الليل ، و توقفوا نهاراً عن الحركة تحت حماية و ستر إجراءات إخفاء و تمويه ممتازة فشل الاستكشاف الأرضي في أماكن حشد القوات و في تحديد اتجاه الهجوم بسبب تمويه البريطانيين لمواقعهم تمويهاً متقناً بارعاً .

و كان الغرض من الهجوم البريطاني تدمير القوات الألمانية و الإيطالية و فك الحصار عن طبرق ثم استعلال النجاح بالتقدم للاستيلاء علي طرعلي طرابلس .

و كان علي القوات البريطانية المكونة من فيلقين أن يتقدم أحدهما و هو الفيلق 30 من الجناح الأيسر ، و عليه التقدم من الحدود المصرية داخل الصحراء إلي طبرق بأغلب القوات المدرعة البريطانية ، أما الفيلق الثاني و هو الفيلق 13 فيتقدم علي الساحل أولاً ليثبّت الحاميات الموجودة الألمانية الموجودة في منطقة السلوم بينما تقوم المدرعات بعمليات الالتفاف ثم تتقدم

---

(97) نفس المرجع صفحة 65.

(98) التاريخ العسكري صفحة 94.

(99) معارك الجيش الالماني في الغرب ص 157.

بعد ذلك شمالاً لعزل هذه الحاميات ثم الاستمرار في التقدم غرباً لمساندة عمليات الفيلق 30 «100».

و تصدي الألمان للهجوم البريطاني فواجهوه بمقاومة صلبة ، و استمرت المعركة بينهما ، و بلغت ذروتها يوم 23 الحرث (نوفمبر) ، و أصيبت المدرعات البريطانية بخسائر فادحة أدت إلي تفكير الجنرال «كننجهام» قائد الجيش الثامن البريطاني في التخلي عن الهجوم و الانسحاب عبر الحدود لإنقاذ ما يمكن إنقاذه مع إقامة آخر خط من خطوط الدفاع علي مشارف النيل إلا أن الجنرال أوكنلك رفض آرزء «كننجهام» و قرر مواصلة القتال و عدم الانسحاب ، و أُعفي كننجهام من قيادة الجيش الثامن ، و عُين بدلاً منها الجنرال «ريتشي» قائداً للجيش الثامن «101»

المعارك حول طبرق:

كانت المعركة لاتزال مستعرة حول طبرق ، و ظن رومل أنه هزم البريطانيين لذا قرر في يوم 24 الحرث (نوفمبر) القيام بغارة جريئة الغرض منها القيام بهجوم مباغت في منطقة السلوم ، و منع القوات الموجودة فيها من الانضمام إلي القوات المنسحبة ، بل حاول أيضاً عبور منطقة الحدود المصرية لتدمير مركز قيادة الجيش الثامن و مستودعاته ، و قواعد تموينه ليقطع إمداد الجيش الثامن كله في الخلف ثم يدمره «102».

و لم يكن رومل يعلم أن أوكنلك قد أوقف الانسحاب أمام طبرق ، و لذا شن رومل هجومه علي البريطانيين في منطقة الحدود مستخدماً قواته المدرعة التي سحبها من أمام طبرق و فشل هجومه و تكبدت القوات الألمانية خسائر فادحة «103».

و أصبح الوضع في جبهة طبرق سيئاً بعد إصدار أوكنلك أوامره بعدم الانسحاب ، فأعاد التماسك في القوات البريطانية ، واستردت بذلك زمام المبادأة ، و هاجمت الجبهة التي أصبحت خالية بعد انسحاب الفيلق الأفريقي ، و في نفس الوقت عاودت حامية طبرق هجومها واخترقت حلقة الحصار الألمانية حولها، وتعرضت الوحدات الألمانية لنيران قاتلة مما دفع رئاسة أركان الفيلق الأفريقي الى إصدار الأمر بعودة الفيلق الأفريقي الى المنطقة الحرجة وهى طبرق «104».

الانسحاب:

و في يوم 15 الكانون (ديسمبر) سنة 1941 قرر رومل بعد أربعة أسابيع من المعارك المتصلة و الخسائر الفادحة إيقاف القتال و الانسحاب ، فقد ضعفت القوة القتالية للجنود لتوالي المعارك و عدم وصول الإمدادات ، و كان ينوي الدفاع عن قطاع الغزالة ، إلا أنه لتفادي التطويق و التدمير من عدو متفوق ، أصبح أمراً لا مناص منه عن طريق المخيلي و درنة في ليلتي 17,16 الكانون (ديسمبر) «105» .

و أمر رومل قواته بالتراجع واحتلال موقع دفاعي جيد عند مرسي البريقة ، و اتجهت وحدات من القوات الألمانية لإنشاء الموقع الدفاعي ، بينما عملت قوات الفيلق الأفريقي كحرس مؤخرة ضد القوات البريطانية حتي يتم انسحاب القوات إلي الخط الدفاعي عند مرسي البريقة ، الذي تمكنت من الوصول إليه في أوائل أي النار (يناير) سنة 1942 «106».

الألمان و حلفائهم الإيطاليون:

أدت المعارك العنيفة المتتالية إلي حدوث خسائر كبيرة بين قوات المحور نتيجة للهجوم البريطاني بالرغم من تكبد الألمان نسبة كبيرة من هذه الخسائر ، إلا أن خسائر الإيطاليين كانت أكبر و بخاصة في عدد الأسري ، و يبدوأن السبب في وقوع أعداد كبيرة من الإيطاليين في أيدي البريطانيين يرجع إلي أن الفرق الإيطالية كانت في معظمها غير آلية ، و قليل منها فقط كانت آلية

---

(100) مذكرات رومل جـ2 صفحة 118.

(101) ثعلب الصحراء جـ1 صفحة 114.

(102) نفس المرجع صفحة 116.

(103) ثعلب الصحراء جـ1 صفحة 117.

(104) نفس المرجع صفحة 119.

(105) نفس المرجع صفحة 131.

(106) نفس المرجع صفحة 167.

و في الصحراء يعد من اعتمد علي قدميه مفقوداً ، و كانت الدبابات هي السلاح الحاسم في حرب الصحراء ، و لهذا كان روملٍ في كل انسحاب يقرر بين أمرين ، إما أن يصمد من أجل المشاة الإيطاليين ، و بذلك يتعرض لفقدان جميع قواته ، و إما أن يحتفظ بفرقة الآلية كقوة سيارة ، و كانت هذه المشكلة تثير كثيراً من الإحراج له .

و قد استغل الحلفاء هذا الوضع في الدعاية ، التي نجحت كثيراً بين الإيطاليين فقد اتهموا الألمان بأنهم يتركون حلفاءهم الإيطاليين وحدهم في المآزق الحرجة دون أن يشعروا بتأنيب الضمير، وسنلاحظ أن هذا الأمر سوف يتكرر كلما جري انسحاب لقوات المحور « 107 » .

التقدم من مرسى البريقة الى العلمين

استمر روملٍ في انسحابه إلي أن وصل إلي خط البريقة في 10 أي النار« يناير» سنة 1942 ، و قد حدثت الآن أمور خففت من وطأة الهزيمة و الانسحاب المرير ، فقد تم نقل الأسطول الجوي الثاني من الجبهة الشرقية « روسيا» إلي صقلية ، و قد قلل هذا من تفوق البريطانيين الجوي الذي كان ذلك الحين مزعجاً لا يحتمل . كما أعيد فتح طريق التموين و و صلت أول قافلة في منتصف ديسمبر سنة 1941 بعد توقف دام شهرين تحمل مواداً و عتاداً كان هو الأساس للهجوم المقابل الذي قام به الألمان فيما بعد، و يمتد موضع البريقة ـ مرادة حوالي 60 كليومتراً ، ولم تكن القوات المتيسرة تستطيع الدفاع عن الموقع ولو أفسح لها المجال عدة أسابيع لتحقيقه ، و كان أكثر ما يخشاه روملٍ أن يتاح للجيش الثامن البريطاني الوقت لتعزيز قواته و تقوية مواقعه.

الهجوم الثاني لروملٍ

و قرر روملٍ القيام بهجوم مقابل ، و كان أقل ما يمكن الحصول عليه هو تأخير هجوم القوات البريطانية ، و بذلك يمكن اكتساب الوقت ، أما إذا أحرز نجاحاً أولياً فحينئذ يمكن التفكير في إعادة احتلال بنغازي و حتي أقسام من برقة ، و كان ذلك يتوقف علي ما يحققه من مباغتة « 108 » .

و أحاط روملٍ أغراض هجوكه بالسرية ، و نجح في مباغتة القوات البريطانية عندما شن هجومه في 12 أي النار« يناير» سنة 1942 فدخلت القوات الألمانية اجدابيا في 22 أي النار « يناير» اليوم الثاني من الهجوم ، و احتلت مسوس في 26 منه ، و دخلوا بنغازي في 31 منه ، و درنة في 4 النوار« فبراير» و استمروا في هجومهم إلي أن وصلوا إلي خليج بمبة و أصبحوا بذلك أمام موضع عين الغزالة ، و كان الهجوم علي هذا الموضع تم القيام بالاستيلاء علي طبرق بالمباغتة متعذراً لعدم توفر قوات كافية و لا المحروقات اللازمة و كان لابد من توقف الطرفين لفترة طويلة استعداداً للجولة القادمة « 109 » .

عودة الى مسألة مالطا:

أدي الموقع الاستراتيجي الهام الذي تحتله مالطا و تسيطر منه علي البحر الأبيض المتوسط إلي معاناة قوات المحور بالخسائر المكلفة و المتصاعدة في سفن الشحن التي تنقل المواد و العتاد إلي مواني شمال أفريقيا ، و قد أرجع الألمان ذلك إلي الخيانة التي اتهمت بها بعض الجهات الإيطالية في روما « 110 » .

و كانت نقطة ضعف الألمان في الصحراء هي الإمدادات ، و كانت القوافل كثيراً ما تتعرض للهجمات أثناء اتجاهها إلي شمال أفريقيا عبر البحر الأبيض المتوسط .

«107» معارك الجيش الالماني صفحة 168.

«108» معارك الجيش الالماني صفحة 162.

«109» نفس المرجع صفحة 164.

«110» ثعلب الصحراء جـ 1 صفحة 97.

و قد خسر الألمان الحرب في شمال أفريقيا لأن القيادة العليا لم تنجح في التغلب علي مشكلة توصيل الإمدادات عبر هذا البحر لعدم سيطرتهم عليه ، و إذا أريد تحقيق النصر في أفريقيا كان من الضروري تحصين القوة البحرية البريطانية ، و قهر و إخضاع جزيرة مالطا قاعدة الهجوم البحري و الجوي علي خطوط الإمداد الإيطالية و الألمانية ، و قد تفاقمت مشكلة الإمدادات بعد الانتصارات التي حققها روميل إذ أصبح علي القيادة الألمانية أن تتولي إعاشة ربع مليون جندي يحاربون في شمال أفريقيا «111».

و عندما أرسلت ألمانيا الفيلق الأفريقي تحت قيادة روميل ليوقف الانحدار الإيطالي في أفريقيا ، و قبل أن تصل مقدمته إلي طرابلس ، أرسلت القيادة الألمانية العليا الجنرال «جلسر» و تحت قيادته الفيلق الجوي العاشر ، و يضم 500 طائرة إلي صقلية ، و كانت مهمته شن الهجمات علي القوات البحرية و الجوية البريطانية في البحر المتوسط ، و تأمين الإمدادات المرسلة إلي أفريقيا .

و كانت العادة أن يرسل البريطانيون قوافل إلي مالطا في حراسة السفن الحربية ، فتزود الجزيرة بالجنود و الطائرات و العتاد و المواد المختلفة لتنطلق الطائرات بعد ذلك من مالطا و تُنزل أقصي الدمار بإمدادات المحور و خطوط مواصلاته ، و قد صادفت القوات الألمانية يوم 9 أي النار« يناير» سنة 1941 إحدي هذه القوافل ، و كانت تتكون من أربع سفن للشحن و حاملة طائرات و عدة سفن حربية للحراسة ، و هي في طريقها إلي مالطا و اليونان ، فهاجمتها الطائرات الألمانية و أغرقت سفينتين منها ، ثم هاجمت حاملة الطائرات و تمكنت من إصابتها قبل أن تقلع منها الطائرات و شبت النيران في سطحها العلوي ، بينما كان الألمان يقومون بالجهد الرئيسي في مواجهة القافلة اختفي تماماً الأسطول الإيطالي الذي كان يفتخر به موسوليني ، و الذي كان يسميه تشرشل «أسطول الطقس اللطيف» ، و كان هذا الحادث سبباً لتوقف البريطانيين عن مهاجمة قوافل دول المحور التي وصلت بسلام إلي شواطي شمال أفريقيا .

و واصل السلاح الجوي الألماني ضرب مالطا فقصفت الأرصفة و ورش الإصلاح و مستودعات التموين و السفن والمطارات ، مما اضطر البريطانيون إلي نقل الطائرات إلي مصر بعد أن عجزوا عن حمايتها ، و خشي البريطانيون أن تفقد مالطا أهميتها كقاعدة جوية و بحرية بريطانية .

و قد أحدثت هجمات الألمان فيما بين أي النار« يناير» و الصيف« يونيو» سنة 1941 خسائر جسيمة بالجزيرة الصخرية في حين أن الهجوم الإيطالي عليها فيما بين الصيف« يونيو» سنة 1940 و أي النار« يناير» سنة 1941 لم يسبب لها أي ضرر «112».

و اقترحت قيادة القوات البحرية الألمانية علي القيادة العليا غزو مالطا و الاستيلاء عليها حتي يمكن إرسال الإمدادات الضخمة إلي أفريقيا دون عائق ، و لكن هتلر قام في 22 الصيف سنة 1941 بالهجوم علي روسيا ، و أدي نشوب الحرب مع روسيا إلي نقل وحدات من الفيلق العاشر الألماني من صقلية إلي الجبهة الشرقية ، و قل سقوط القنابل علي مالطا ، بينما عزز تشرشل قواته في الجزيرة ، و أنزلت القوات البحرية و الجوية البريطانية ـ مرأخري ـ الخسائر الفادحة بإمدادات الألمان و من شهر الصيف« وينيو» إلي التمور «اكتوبر» سنة 1941 كان علي الألمان أن يتحملوا المزيد من الخسائر ، فقد تمكن البريطانيون من إغراق 40 باخرة كانت تحمل الإمدادات إلي شمال أفريقيا ، و أصبح الآن واضحاً أن عمليات المحور في شمال أفريقيا سوف تنتهي نهاية سيءة نتيجة للحصار البحري لإمداداته «113».

«111» نفس المرجع صفحة 142.

«112» ثعلب الصحراء جـ 1 صفحة156.

«113» نفس المرجع جـ 1 صفحة 159.

و أمرت القوات الألمانية علي الفور« أواخرسنة 1941 » بنقل الأسطول الجوي الثاني بقيادة الماريشال« كيسلرنغ » من الجبهة الشرقية إلي صقلية لحراسة قوافل التموين عبر البحر المتوسط ، و تجميد مالطا و منعها من العمل ، و تحطيم الأسطول البريطاني في شرق البحر المتوسط إذ أمكن ذلك .

و كانت مشكلة الإمدادات هي أهم المواضيع المطروحة بعد استيلاء الألمان علي طبرق ، و كان حل هذه المشكلة يتوقف علي مالطا ، فإذا سقطت الجزيرة في قبضة الألمان أمكن مواصلة الحرب في شمال أفريقيا دون عقبات ، أما إذا ظلت الجزيرة في أيدي البريطانيين فمعني ذلك استحالة أي تقدم في اتجاه الشرق ، و كان رأي الخبراء أن من الواجب اتخاذ موقف حاسم تجاه هذه المشكلة .

و قد حثّ أمير البحر « رايدر» قائد البحرية الألمانية هتلر في شهر مارس علي الموافقة علي الخطة : التي وضعت لهجوم رومل نحو نهر النيل و أطلق عليها« عملية عائدة» ، و علي الخطة الرامية لاستيلاء المظليين علي مالطا و رمز لها باسم عملية « هرقل» ، و كان من المقرر أن يبدأ الهجوم البري في ليبيا في نهاية شهر الماء « مايو» و أن يقع علي مالطا في منتصف ناصر« يوليو» ، و لكن هتلر ما لبث في الخامس عشر من يونيو ـ و كان رومل في أوج انتصاراته الأولية ـ أن أجل الهجوم علي مالطا بسبب المصاعب التي صادفتها عمليلته الحربية في روسيا ، و قرر تأجيل « عملية هرقل» ، و رأي أنها يمكنها الا نتظار و يكون ملرو وروملررومل آنذاك قد احتل مصر ، كما أنه في الإمكان أن تبقي مالطا هادئة في غضون ذلك بفعل الغارات الجوية المستمرة عليها .

و لكن مالطا لم تهدأ و أدي فشل الألمان في تجميدها أو الاستيلاء عليها إلي دفعهم بعد ذلك بوقت قصير ثمناً غالياً ، ففي السادس عشر الصيف« يونيو» سنة 1942 تمكنت قافلة بريطانية من الوصول إلي الجزيرة المحاصرة ، و أدي وصولها علي الرغم من خسارة بعض السفن الحربية و بواخر الشحن في العملية إلي عودتها إلي الحياة .

و نقلت طائرات « السبيتفاير» إلي الجزيرة من حاملة الطائرات « واسب» و تمكنت بعد برهة قصيرة من طرد القاذفات الألمانية من الأجواء ، و سرعان ما أحس الألمان بالأثر إذ أغرق ثلاث أرباع سفن التموين المرسلة إلي شمال أفريقيا « 114» .

القرار النهائي :

البريطانية الجوية و البحرية المنطلقة من مالطا ، و أصبح من الضروري إيقاف هذا التهديد القاتل لقوات المحور العاملة في شمال أفريقيا ، و قد رأي الخبراء أنه من الواجب القضاء علي مالطا أولاً إذا أريد الوصول إلي دلتا النيل ، ، إذ أنه لا جدوي من الهجوم علي مصر إلا إذا سقطت مالطا أولاً .

و اقترح رومل في منتصف الطير « ابريل» وجوب الاستيلاء علي مالطا لتصبح الطرق البحرية آمنة لقوافل التموين ، و من ثم يشن الهجوم علي طبرق ، التي قد يكون سقوطها إشارة للتقدم إلي مصر ، و رأي رومل أنه في حالة ما إذا كان الهجوم علي مالطا يتطلب وقتاً طويلاً ، فإنه من المناسب جداً مهاجمة طبرق أولاً علي أن يعقب ذلك مباشرة الهجوم علي مالطا ، و قد اتخذ رومل ـ فيما يبدو ـ قراره علي أساس أنه يجب بذل كافة الجهود لمنع البريطانيين من فتح جبهة ثانية و إحضار قوات جديدة من الشرق الأوسط إلي هذه الجبهة ، فالجيش الثامن الآن في غاية الضعف و يجب استغلال هذه الفرصة قبل تدعيمه .

« 114 » تاريخ ألمانيا الهتلرية جـ3صفحة 537.

و قد عارض بعض الخبراء هذا الاقتراح ، و رأوا أن أي تقدم للألمان نحو مصر مع وجود مالطا في أيدي البريطانيين لن يكون ناجحاً لتعرض الإمدادات لمخاطر الهجمات البريطانية ، كما أنه من المتعذر القيام بالمهمتين في آن واحد ، أي الهجوم علي مالطا و الاندفاع نحو مصر لأن السلاح الجوي كان بإمكانه إسناد حركات واحدة فقط ، و كان التقدم داخل مصر يعني ترك حركة مالطا و فقدان آخر لاحتلال الجزيرة التي كانت في ذلك الوقت ثمرة يانعة و حان قطافها نتيجة للغارات الجوية العنيفة التي قام بها الأسطول الجوي الثاني الألماني «115».

و قد وافقت القيادة العليا الألمانية علي خطة رومل ، و تقرر تأجيل الهجوم علي مالطا حتي شهر الفاتح «سبتمبر» مع وضع القوات المتيسرة تحت إمرة رومل للهجوم علي دلتا النيل .

و شرع رومل بعد الظهر من يوم 26 الربيع «مارس» بتطبيق هذه الخطة و كانت تهدف إلي تطويق الجناح الجنوبي لموضع البريطانيين في خط الغزالة ـ بئر حكيم و بذلك يصبح خلف الجيش الثامن البريطاني بينما تقوم المشاة الإيطالية بتثبيت الجبهة .

معركة الغزالة:

تمتد جبهة الغزالة أربعين ميلاً ، من الساحل إلي بئر حكيم في الجنوب و يتكون خط الدفاع في هذه الجبهة من نقط محصنة محاطة بالألغام أطلق عليها اسم «الصناديق الدفاعية» ، و كان كل صندوق منها قطره ميلين ، تحيط الأسلاك الشائكة بهذه المواقع «أو الصناديق» ليتلوها من الداخل حقول ألغام ثُبتت في عمق ، و أقيمت فيما بينها نقاط للمدافع الرشاشة ، و ممرات تغطيها نيران المدفعية ، و كانت حامية كل صندوق توازي قوة لواء ، و هي مزودة بالإمدادات الكافية للدفاع الطويل المدي ، و خلف هذه الصناديق كان يوجد احتياطي للعمليات مكوناً من المدرعات و الوحدات الميكانيكية .

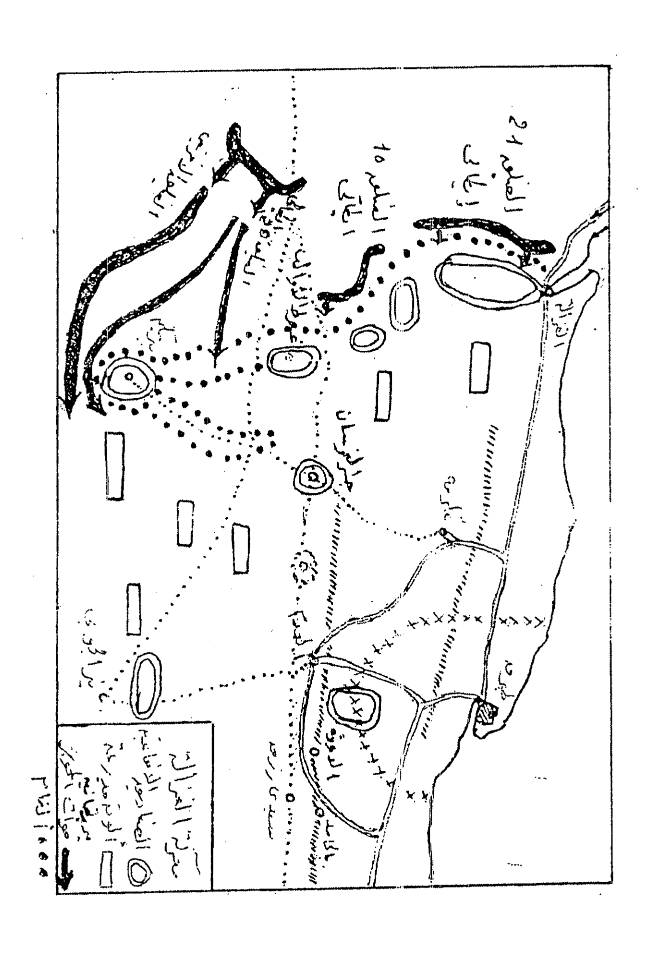
و كانت مهمة الصناديق مراقبة حقول الألغام حتي لا يستطيع العدو أن يفتح ثغرات في خلال الحقل ، و زيادة علي ذلك فإن الصناديق كانت عبارة عن مواقع مقاومة من جميع الاتجاهات ، و كان علي العدو الذي يريد اختراق الجبهة أن يقضي عليها أولاً حتي يتجنب خطر الهجوم عليه باستمرار من الخلف و الاجناب أو علي خطوط مواصلاته ، فإذا ركز العدو هجومه علي الصناديق نفسها فإن المدرعات الموجودة خلف هذه الصناديق كان عليها أن تواجهه و تقضي عليه«116».

و في السادس و العشرين من مايو قام الألمان بالهجوم علي خط الغزالة إلا أنهم قوبلوا بمقاومة بريطانية شديدة أدت إلي تعثر الهجوم في باديء الأمر ، لكنهم تمكنوا بعد معارك شرسة و مضنية من الاستيلاء علي بئر حكيم في 11 الصيف «يونيو» حيث استسلم من تبقي من حاميتها .

---

(115) معارك الجيش الالماني صفحة 166.

(116) ثعلب الصحراء جـ2صفحة233.



الغزالة
الفيلق 21 إيطالي
الفيلق 10 إيطالي
طبرق
جسر الفرسان
بير حكيم
الفيلق الأفريقي
سيدي رزق
معركة الغزالة
الصناديق الدفاعية
ألوية مدرعة بريطانية
قوات المحور

الاستيلاء علي طبرق :

اتجه رومل بعد استيلائه علي بئر حكيم نحو الشمال محاولاً الوصول إلي شاطيء البحر ليتمكن من القضاء علي بقايا الجيش الثامن البريطاني جارفاً في طريقه الصناديق الدفاعية و القوات المدرعة الإيطالية التي تحمل تلك الصناديق ، و تظاهر رومل بأنه أهمل طبرق ، و أنه ينوي الاتجاه شرقاً حتي يعتقد البريطانيون أن هدفه الوصول إلي الحدود المصرية كما فعل ذلك من قبل ، و كان علي رأس قواته عندما وصل إلي البردية ليغير منها اتجاهه حتي يكون أكثر قرباً من طبرق .

و في فجر يوم 20 الصيف« يونيو» سنة 1940 قام الألمان بالهجوم علي طبرق ، بعد أن مهدوا له بقصف جوي عنيف ، و صدرت الأوامر لجميع الطائرات الألمانية و الإيطالية بالاشتراك في تلك الهجمات علي الجنوب الشرقي من طبرق ، و فتحت الجحيم أبوابها ، و أخذت القنابل تدك التحصينات البريطانية تساندها في ذلك المدفعية من جميع العيارات ، دُفعت بعدها قوات الفيلق الأفريقي لاقتحام التحصينات و الاستيلاء عليها و احتلال المدينة المدينة ، و قامت الطائرات الألمانية بمؤازرة القوات المتقدمة في تنسيق جيد أدي إلي إرباك المدافعين عن المدينة ، حيث أخذت المواقع تسقط في أيدي الألمان واحداً بعد الآخر « 117» .

و وصلت معركة طبرق إلي ذروتها ، و دفعت المدفعية الألمانية إلي الأمام و أخذت تطلق نيرانها المباشرة علي المواقع البريطانية ، و لم يكن في استطاعة المدافعين الصمود أمام هذه النيران المميتة ، و بدأت الحصون في السقوط واحداً تلو الآخر ، و تمكن رومل دخول المدينة يوم 21 الصيف« يونيو» ، و في الساعة العاشرة من نفس اليوم استسلمت الحامية البريطانية ، و تم أسر 33 ألف جندي و كمية كبيرة من العتاد و المواد المختلفة ، و بسقوط طبرق أصبح الطريق إلي مصر مفتوحاً « 118»

التقدم نحو الاسكندرية:

معظم أفراد المشاة البريطانية في مرسي مطروح و منعته من احتلال جديد قبل الاسكندرية « 119» .

إلا أنه كانو من الصعب تنفيذ هذه الخطة ، فقد باتت القوات الألمانية منهكة بعد المعارك العنيفة التي خاضتها ، كما شكل اتساع الصحراء مشكلة بحيث يصبح من المستحيل فيها إحكام طوق الحصار أمام عدو يمكنه الاندفاع مفجأة فيحدث فجوة في خطوط المحاصرين يمكنه التخلص و الانسحاب من خلالها ، و لازدياد تدخل طائرات السلاح الجوي البريطاني التي كانت تقوم بغارات شديدة علي القوات الألمانية المتقدمة ، و تمكنت القيادة البريطانية من سحب خيرة قواتها إلي موقع العلمين الذي أنشيء ليكون آخر خط للمقاومة غرب النيل « 120» .

الانسحاب الأخير

و في أول ناصر« يوليو» سنة 1942 وصلت القوات الألمانية الرئيسية إلي خط العلمين ، و لم تكن تلك القوات تعرف شيئاً عن العلمين التي تقع بيبنهم و بين دلتا النيل سوي ما هو مرسوم علي الخرائط ، التي تشير إلي أنها بلدة فيها محطة للسكة الحديد ، و المعلومات التي تقول أن البريطانيين قد حشدوا قواتهم هناك .

«117» ثعلب الصحراء جـ2صفحة 286.

«118» نفس المرجع صفحة 299.

«119» ثعلب الصحراء جـ3صفحة 337.

«120» نفس المرجع صفحة 340.

التوقف أمام العلمين :

و يمتد خط العلمين بين قرية العلمين علي البحر المتوسط و منخفض القطارة جنوباً و هو أقل من مستوي سطح البحر و لا تصلح أرضه بحكم طبيعته لسير الآليات و العربات إلا في بعض مناطقه ، لذلك مناسباً للدفاع .

و لم يعلم رجال هيئة أركان حرب رومل شيئاً عن حقول الألغام حول العلمين ، و لم ينتبهوا للألغام التي بُثت بعمق طوال الأسابيع الطويلة بواسطة الإيطاليين من أسري الحرب و وحدات المهندسين البريطانية جنوب العلمين علي حافة هضبة الرويسات و علي طول منخفض القطارة .

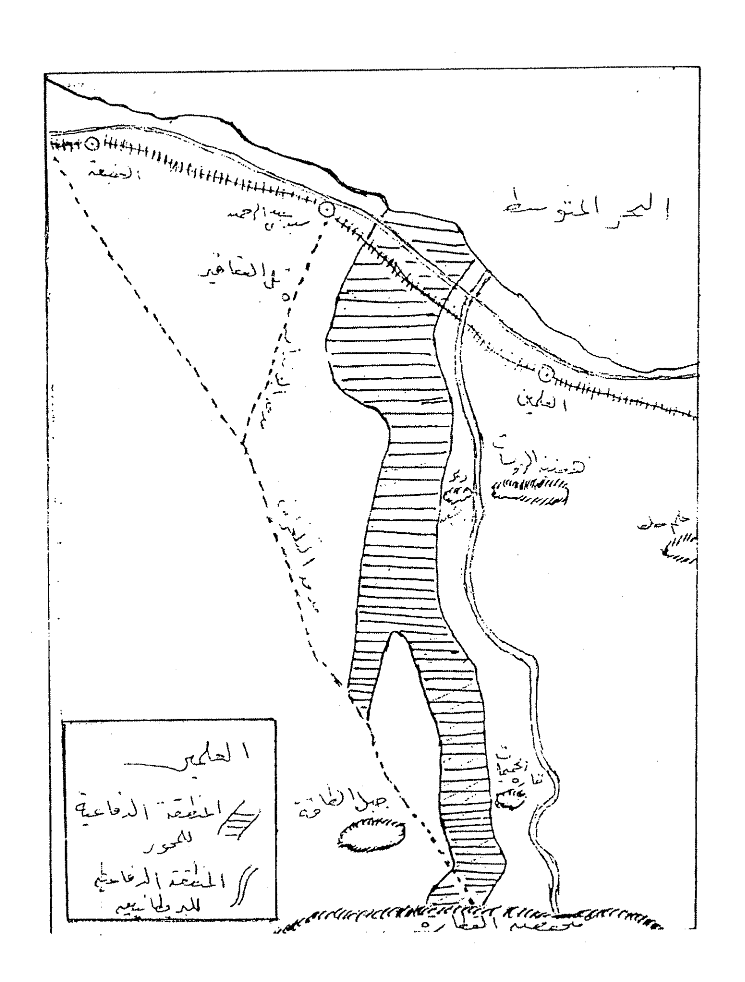
و عندما وصلت القوات الألمانية إلي حزام الألغام أمام العلمين قوبلوا بمقاومة شديدة ، و هاجمت القوات الجوية البريطانية القوات المتقدمة الألمانية و لأول مرة أحس الألمان بتهديد القوات الجوية البريطانية التي كان من واجبها إيقاف القوات الألمانية بإنزال الخسائر الجسيمة بها بغض النظر عن خسائرها هي « 121 ».

و فشل الألمان في الاستيلاء علي خط العلمين نتيجة للمقاومة البريطانية الشديدة ، و لهجمات السلاح الجوي البريطاني ، و كان أخش ما يخشاه رومل أن يدعم البريطانيون قواتهم أمام الاسكندرية فتتحول الحرب بذلك إلي حرب ثابتة ذات خطوط مجهزة محددة ، لأن القوات البريطانية تربت علي مثل هذه الحرب ، و أن عناد و تصميم البريطانيين يؤتي ثماره في مثل هذا النوع من القتال الثابت .

و حاول رومل منع ذلك و لكنه لم يتمكن أبداً من تنفيذ خطته و الاندفاع إلي ما وراء خط العلمين ، و منذ يوم 3 ناصر« يوليو» سنة 1942 أوقف تقدم رومل عند العلمين « 122 »..

---

(121) ثعلب الصحراء جـ3صفحة347.
(122) ثعلب الصحراء جـ3صفحة351.


البحر المتوسط
الضبعة
العلمين
جبل الطاقة
منخفض القطارة
العلمين
المنطقة الدفاعية للمحور
المنطقة الدفاعية للبريطانيين

الذعر يجتاح البريطانيين:

أصاب تقم الألمان إلي العلمين البريطانيين بالهلع و الذعر . فراحوا يجمعون كل إمكاناتهم لبذل محاولة أخيرة و يائسة لإيقاف الألمان ، و سافر تشرشل رئيس الوزارة البريطانية إلي القاهرة ليمنع التردي الذي أصاب البريطانيين ، و أمر علي الفور بإرسال الإمدادات إلي مصر لتدعيم قوات الجيش الثامن ، و زاد البريطانيون من نشاطهم الجوي غرب البحر الأبيض المتوسط ، وأخذوا في مهاجمة قوافل المحور من شواطيء إيطاليا إلي شمال أفريقيا و لوحظت حركة نشطة للقوافل البريطانية البحرية المتجهة نحو رأس الرجاء الصالح لنقل العتاد و الإمدادات إلي مصر، و نقلت فرق بريطانية جديدة من سوريا و الهند و العراق ، وعُين الجنرال هارولد الكسندر قائداً عاماً للشرق الأوسط بدلاً من أوكنلك ، و اختير الجنرال مونتجومري قائداً للجيش الثامن بدلاً من ريتشي .

مونتجومري :

درس في مدرسة (سانت بول) ثم التحق بالكلية الحربية في (سانت هرست) و خدم بتفوق أثناء الحرب العالمية الأولي .

و عندما نشبت الحرب العالمية الثانية تولي مونتجومري قيادة فرنسا ، ثم عين قائداً لقيادة الجنوب الشرقي في انجلترا ، و تولي الجيش الثامن البريطاني في شمال أفريقيا في هنيبال (اغسطس) سنة 1942 .

و أوقف مونتجومري بعد توليه القيادة أية إجراءات تقضي بانسحاب الجيش الثامن من العلمين ، و أصدر أوامره بعدم استخدام القوات البريطانية ، و الدبابات ، و المدفعية ، إلا في حشود كبيرة ، إذ أن استخدام القوات بوحدات صغيرة أدي إلي حصول رومل علي انتصاراته السابقة «123» .

معركة علم حلفا :

حاول رومل جاهداً أن يكسر الجمود في جبهة العلمين ، و أن يفتح الطريق للوصول إلي دلتا النيل بالقضاء علي هذا الموقع ، و أن يفاجيء الجيش الثامن بتكتيكاته المعهودة القائمة علي تثبيت الجبهة ثم اختراقها من الجنوب و الالتفاف علي القوات المعادية و ضربها من الخلف فينهار خط الجبهة .

و علي هذا التقدير قام رومل في يوم 30 هنيبال (اغسطس) سنة 1942 بهجوم دارت علي إثره معركة عرفت باسم (معركة علم حلفا) ، و كان غرض الهجوم اختراق الجبهة البريطانية جنوب خط العلمين ، والاستيلاء علي هضبة علم حلفا ، ثم الاتجاه شمالاً لقطع خط الجرعة علي القوات البريطانية الموجودة شمال جبهة العلمين ، و قوبل الهجوم الألماني منذ بدايته بمقاومة بريطانية شديدة ، فقد استقبل بموجة عنيفة من المدفعية و المدافع الرشاشة ، و اكتشف الألمان بعد بداية الهجوم أنهم قد تورطوا داخل حقول الألغام لم تكن معروفة لديهم أو محددة شكلت مفاجأة لهم ، و مما زاد الأمر صعوبة قيام طائرات السلاح الجوي البريطاني بغارات شديدة وجهت فيها قنابلها و أسلحتها إلي المدرعات الألمانية و أنزلت بها خسائر فادحة.

---

(123) ثعلب الصحراء جـ3 صفحة 355.

ولم تستطيع القوات الألمانية أن تتقدم حتي صباح 31 هنيبال(اغسطس) سوي مسافة تتراوح بين 8ـ10 أميال ، و كان ذلك يعني فشل روملي الذي كان مقدراً له أن يتقدم في ضوء القمر مسافة ثلاثين ميلاً ثم الالتفاف بعد ذلك في اتجاه الشمال.

و يعود السبب في فشل الهجوم ، إلي المقاومة غير المتوقعة التي أبدأها البريطانيون ، و إلي طبيعة الأرض التي فشل الاستطلاع الألماني في اكتشاف مدي وعودتها و إلي صعوبة مهاجمة تبة علم حلفا بالمواجهة ، لأنه بالرغم من إبلاغ دوريات الاستطلاع الألماني ة بأن التبة محصنة تحصيناً قوياً إلا أنها لم تكتشف أن فرقة مشاة بريطانية هي الفرقة (44) التي وصلت حديثاً من بريطانيا كانت تحتل بكامل أسلحتها مواقع محصنة في تبة علم حلفا و أنها مدعمة بمدفعية ثقيلة و دبابات .

و في مساء 13 هنيبال(اغسطس) كان موقف الوقود ينذر بالخطر فلم تصل كميات الوقود التي كانت القوات الإيطالية قد وعدت بإرسالها «124».

و في مساء الأول من الفاتح (سبتمبر) قرر روملي إيقاف الهجوم و الانسحاب علي مراحل إلي نقطة الانطلاق شمال منخفض القطارة ، و استمرت معركة الانسحاب العنيفة مدة ثلاثة أيام ، و انتهي بذلك سباق الستة أيام كما سماها الجنود ، بحيث لم يجابهوا مثلها فيما بعد .

و كان من أسباب الهزيمة الألمانية ، ضعف قوات روملي ، و تفوق القوات البريطانية من حيث المدفعية و المدرعات ، والتدخل القوي للسلاح الجوي البريطاني .

الهزيمة في العلمين :

و ابتداءً من 6 الفاتح(سبتمبر) و حتي 23 التمور(اكتوبر) سنة 1942 ، أي منذ فشل عملية علم حلفا ، أخذت القوات المتصارعة حول موقع العلمين في تدعيم جبهاتها و بينما كانت تصل إلي البريطانيين كميات هائلة من الإمدادات ، و كانت قوات المحور تعاني من نقص مستمر في كمية الإمدادات اللازمة لمواصلة عملياتها الحربية ، و أصبح البريطانيون بما لديهم من تجهيزات و معدات هم الطرف الأكثر قرباً للانتصار في المعركة القادمة ، و قد أخذوا في التجهيزات لها بشن غارات عنيفة علي قوات المحور أخذت تزداد شدة و عنفاً في نهاية الفاتح (سبتمبر) و ما بعده .

و في مساء 23 التمور (اكتوبر) سنة 1942 بدأت معركة العلمين ، فقد شن البريطانيون بقيادة مونتجومري هجوماً كاسحاً علي قوات المحور ، و بدأت المعركة بغلالة قوية من النيران لمدة خمس ساعات ، و ركز 1000 مدفع بريطاني نيرانهم علي قوات المحور في الخط الأمامي .

و في الساعة العاشرة تحولت المدافع البريطانية إلي حقول الألغام و قصفتها قصفاً شديداً ، و كانت قوة هذه النيران كافية لفتح ممرات في حقول الألغام «125».

و بعد معارك شرسة و شديدة شن البريطانيون في ليلة 31 التمور (اكتوبر) هجوماً شديداً شمال الجبهة تمكنوا عيل إثره من الوصول إلي الطريق الساحلي ، و بدأ واضحاً تفوق البريطانيين علي قوات المحور التي حاولت باستماتة إيقاف اختراق جبهتها الذي حدث في عدة مواقع .

---

(124) ثعلب الصحراء جـ3صفحة 368.

(125) ثعلب الصحراء جـ3صفحة 403.

تقهقر قوات المحور :

و لم يجد الألمان و حلفاؤهم أمام هذا الوضع اليائس في النهاية غيذ الانسحاب حتي لا يتمكن البذيطانيون من تطويقهم و إبادتهم ، و علي هذا الأساس أخذ الألمان ابتداءً من الحرث (نوفمبر) سنة ١٩٤٢ في الانسحاب باتجاه الغرب تلاحقهم المدرعات البريطانية ، و يقصفهم السلاح الجوي البريطاني ، و كان ما يشغل بال الألمان و يسبب الحرج لهم هو إنقاذ المشاة ، فالقوات غير المحملة يسهل حصارها و تدميرها ، و كانت معظم القوات الإيطالية غير محملة ، ففقدوا قيمتهم كقوات مقاتلة ، و اتهم رومل بأنه تخلي عن الإيطاليين و تركهم يقعون أسري في أيدي البريطانيين ، و هو اتهام سوف يتكرر كلما جري انسحاب.

و كان علي المدرعات أثناء الانسحاب أن تعمل كحرس مؤخرة يقوم بالاشتباك مع قوات العدو في معارك تصادمية الغرض منها إتاحة الفرصة لانسحاب القوات و احتلال خطوط دفاعية يمكن التوقف عندها و الدفاع من خلالها.

و كان المهندسون ياعبون دوراً هاماً في إتمام الانسحاب و عرقلة تقدم القوات البريطانية ، ينسفون الجسور و المستودعات ، و يضعون الألغام في النقاط الحساسة حتي تتمكن القوات المنسحبة من احتلال مواقع جديدة يسهل الدفاع عنها .

و وصلت القوات الألمانية في ليلة 4 الحرث (نوفمبر) إلي (فوكة) ، و تمت عملية التحرك علي جبهة واسعة تم أغلبها عبر الصحراء المفتوحة لأن الطريق الساحلي كان مضيئاً بواسطة المشاعل البريطانية ، و معرّضاً علي الدوام لهجمات السلاح الجوي البريطاني .

و واصلت القوات الألمانية انسحابها ، فوصلت إلي مرسي مطروح و في أعقابها وحدات من المدرعات البريطانية ، و لما كان الألمان يخشون خطر التطويق فقد انسحبوا بسرعة إلي سيدي براني .

و علم رومل في يوم 8 الحرث (نوفمبر) سنة 1942 بوجود قافلة من حوالي 104 سفينة تقترب من أفريقيا ، و أنه من المحتمل أن يكون البريطانيون و الأمريكيون علي وشك توجيه ضربة لقوات المحور من الغرب ، و كان هذا يعني نهاية هذه القوات«126» .

الانسحاب من الأراضي الليبية :

و في يوم 8 ، 9 الحرث (نوفمبر) قامت القوات الألمانية بمحاولة جادة لعبور المضايق عبر هضبة السلوم بأسرع ما يمكن بسبب ازدحام الآليات وتكديسها الذي وصل ـ أثناء تراجعها ـ إلي مسافة عدة أميال بحيث صارت عرضة لهجمات السلاح الجوي البريطاني ، و مهددة بخطر الالتفاف حولها عبر الصحراء و قطع خط الرجعة عليها «127» .

و نجح رومل في يومي 10 ، 11 الحرث (نوفمبر) ـ ولكن بمشقة ـ من إتمام الانسحاب عبر المضايق و الاتجاه نحو الأراضي الليبية ، و كان هدفه الهروب بالقوات الألمانية إلي أوروبا ، و كان مقتنعاً و خاصة بعد هزيمة العلمين بأن كل شيء قد انتهي ، و أن الطريق الصحيح الذي يجب سلوكه الآن هو الارتداد إلي طرابلس و مغادرة شمال أفريقيا نهائياً ، و جاء نزول الجنرال (إيزنهاور) في 8 الحرث (نوفمبر) في المغرب و الجزائر مؤكداً لذلك .

---

(126) مذكرات رومل جـ4صفحة 593.

(127) مذكرات رومل جـ4صفحة 596.

و اقترح روممل علي هتلر العمل علي إنقاذ ما يمكن إنقاذه من الجيش ، حتي يتمكن الألمان من الدفاع نع أوروبا ضد غزو الحلفاء المتوقع ، و لكن هتلر رفض الموضوع ، و رأي أن من الواجب الدفاع عن أوروبا في تونس و ليس في صقلية «128».

و استمر البريطانيون في تعقبهم السريع للقوات الألمانية ، و عندما وصل الألمان إلي طبرق يوم 11 الحرث (نوفمبر) احتل البريطانيون في نفس اليوم نقب حلفاية و شرع الألمان في إتمام إخلاء برقة بأقصي سرعة ، و تركوا وراءهم خط الغزالة ، و وصلوا إلي مفترق مفترق الطرق عند التميمي حيث تتفرع المسالك إلي اتجاهين ، الأول الطريق الساحلي ، و الثاني الطريق الذي يمر بالمخيلي ـ مسوس ـ اجدابيا ، و هو النقطة الحرجة في أي انسحاب إلي الغرب ، و كان الألمان يخشون تكرار ما حدث للقوات الإيطالية التي سقطت في المصيدة شمال اجدابيا و أبيدت هناك ، و لكنهم تمكنوا من إتمام انسحابهم و وصلوا إلي اجدابيا «129».

و استمر الألمان في انسحابهم السريع ، ففي وقت مبكر من صباح يوم 29 الحرث (نوفمبر) قاموا بإخلاء مدينة بنغازي بعد أن دمروا كل العتاد المتبقي فيها و منشاءات الميناء و الأرصفة ، و وصل الألمان في نفس اليوم إلي مواقعهم الجديدة حول الزويتينة و اجدابيا ، و بذلك تمت عملية إخلاء برقة .

و في هذه الأثناء كان العمل يسير بسرعة في إنشاء خط دفاعي في مرسي البريقة و تقوية دفاعاته حتي يتم الانسحاب غرباً ، و قد قرر الألمان إخلاء طرابلس و الانسحاب إلي قابس و الصمود هناك حيث يمكن إقامة خط دفاعي يحده من الجنوب سبخة شط الجريد «130».

خروج الإيطاليين من ليبيا:

و أخذت خطوط الدفاع التي أنشأتها قوات المحور للتشبث ببقائها في ليبيا تنهار تباعاً ، فقد سقط خط البريقة ، و تلاه خط البويرات ثم خط ترهونة ـ الخمس الذي انسحب منه الألمان في 19 أي النار (يناير) ، ثم أخلت قوات المحور مدينة طرابلس و دخلتها وحدات نت الجيش العاشر البريطاني في 23 أي النار (يناير) سنة 1943 أي بعد هجومهم في العلمين بثلاثة أشهر تماماً «131».

و في أواخر أي النار (يناير) سنة 1943 انسحبت قوات المحور إلي توني ، و بذلك خرجت القوات الإيطالية نهائياً من الأ راضي الليبية بعد احتلال دام اثنين ثلاثين عاماً .

لقد كان فقان طرابلس أكبر و أجمل مدينة في الأمبراطورية الإيطالية تأثيراً بالغاً و محطماً للإيطاليين ، و عُد تحررها أخطر اندحار أصاب القوات الإيطالية ، و أدرك الإيطاليون أن خسارة طرابلس تعني خسارتهم للحرب «132».

كفاح الشعب الليبي ضد الإيطاليين :

عندما أعلنت إيطاليا الحرب علب الحلفاء في شهر الصيف (ينوي) سنة 1940 و جد الليبب الليبيون الفرصة سانحة لمحاربة الإيطاليين ، و قرر من سمحت له الظروف منهم بالاشتراك في التدريب ، و جُندوا للحرب ضد الإيطاليين ، و اشترك 14 ألف ليبي مع الجيش البريطاني كثير منهم ممن أسر في المعارك الأولي أثناء محاولة الإيطاليين غزو مصر ، و ما تلي ذلك من هزيمتهم في سيدي براني ، و عندما شن البريطانيون هجومهم الأول بقيادة ويفل اشتركت القوات الليبية في هذه المعارك ،

---

(128) ثعلب الصحراء جـ4صفحة 439.
(129) مذكرات روممل جـ5 صفحة 604.
(130) نفس المرجع صفحة 674.
(131) نفس المرجع صفحة 674.
(132) معارك الجيش الألماني صفحة 180.

وخاضت العديد من المعارك طوال الفترة التي استغرقها الصراع وحتي طردهم نهائياً من ليبيا «133».

و ناصر الليبيون قضية الحلفاء علي أمل التخلص من الحكم الفاشي البغيض، فالتحق بعضهم بالجيوش و حاربوا في الصحراء الغربية، و عمل بعضهم خلف خطوط العدو مقدمين شتي المجهودات لهزيمة العدو و التخلص من وجود الاستعمار الكريه «134».

و قد أدت هزيمة غراتسياني إلي ضياع هيبة إيطاليا في المنطقة، و بدأ عدد القبائل الليبية في الثورة، و ساعد علي انتشار هذه الروح، الأسلوب السيء الذي يتبعه الإيطاليون في معاملة العرب، و انزعج الألمان لانتشار روح التمرد بين تلك القبائل، لأن ذلك يعني اشتعال الثورة خلال الخطوط الخلفية لقواتهم، يحذرون السلطات الإيطالية من خطورة الوضع و تأثيراته السيئة و يعملون علي تهدئة خواطر العرب «135».

و في أواخر أي النار (يناير) سنة 1943 طُردت قوات المحور نهائياً من ليبيا، و بخروجها انتهي الحكم الإيطالي لليبيا بعد احتلال دام حوالي اثنين و ثلاثين عاماً، عاني فيها الناس من استبداد و طغيان حكم استعماري استيطاني كريه نشر الرعب والخوف، و أقام المشانق، و اقترف الذابح و شتت البشر.

و أصيب الإيطاليون ـ الذي شجعهم الشيطان علي البغي و الطغيان و الجبروت ـ بهزيمة ماحقة و طعنة قاسمة لم يفيقوا منها أبداً، و تزعزت مكانتهم، و انحطوا إلي متدن بين دول العالم، و ظلوا في تردٍ و تقهقر إلي أن طردوا من ليبيا نهائياً.

و انتهي بذلك الاستعمار العسكري الإيطالي لليبيا، و لكن ظل هناك استعمار من نوع آخر، و هو الاستعمار المدني الذي تمثل في بقايا المستعمرين الإيطاليين ممن جلبتهم السلطات الإيطالية الفاشستية و ملكتهم الأرض و ثرواتها بعد مصادرتها من أصحابها الأصليين، و قد انتهي هذا الأمر بقيام ثورة الفاتح من سبتمبر عام 1969 التي أمرت بإعادة الحق إلي نصابه و طردت بقايا الإيطاليين الفاشست في اليوم السابع من شهر التمور (اكتوبر) سنة 1970.

الصراع حول تونس:

كانت القيادتان الألمانية و الإيطالية تتوقعان منذ منتصف شهر التمور «اكتوبر» سنة 1942 إنزالاً بريطانياً أمريكياً وشيك الحدوث في شمال أفريقيا، و في الثالث من شهر الحرث «نوفمبر» شوهد أسطول ضخم للحلفاء متجمعاً في جبل طارق «136».

و كانت القيادة الألمانية في شمال أفريقيا تخشي الإنزال وراء خطوطها الخلفية و أصبحت بذلك القوات الألمانية معرضة لتهديد خطير إذا تم الإنزال علي سواحل أفريقيا و خاصة في تونس.

وفي يوم 8 الحرث «نوفمبر» سنة 1943 أنزلت قوات الغزو بقيادة «إيزنهاور» في المغرب و الجزائر، ولهذا بادر القائد العام للقوات الألمانية في جنوب إيطاليا الماريشال «كيسلرنغ» باغتنام الفرصة و وضع يده علي تونس و أخذ في إرسال القوات إليها، و أنزلت وحدة من الألمان جواً في 11 الحرث «نوفمبر» ليتوالي بعد ذلك نزول القوات.

و أدي تقدم الحلفاء البطيء شرقاً من الجزائر إلي تعزيز و تقوية رأس الجسر الألماني في تونس، و إلي امتداده غرباً، و أصبح بالامكان أخيراً أن ينقل الألمان أجزاء من فرقتين مدرعتين بصورة تدريجية، و ثلاث فرق مشاة إلي تونس، و تشكّل الجيش

---

(133) ليبيا بين الماضي و الحاضر صفحة 246.

(134) العالم العربي صفحة 372.

(135) مذكرات رومل جـ2صفحة 85.

(136) ألمانيا الهتلرية جـ4صفحة 252.

المدرع الخامس من القوات التي تم نقلها إلي تونس بقيادة الجنرال « فون آرنيم » و التحقت به بعض الوحدات الإيطالية .

و تمكن جيش رومل من إتمام انسحابه إلي داخل الأراضي التونسية في أوائل النوار « فبراير » سنة 1943 و تم الاتصال بينه و بين جيش فون آرنيم و كان علي الألمان أن يواجهوا القوات البريطانية و الأمريكية الآتية من الجزائر ، و القوات البريطانية المطاردة للفيلق الألماني و التي تتجه الآن من جنوب تونس نحو الشمال « 137 » .

و في يوم 14 النوار « فبراير » قامت القوات ال الألمانية بهجوم علي قوات الغزو في تونس محاولة إنزال أقصي الخسائر بها ، إلا أن قوات الحلفاء قابلت الهجوم بمقاومة شديدة بعد النجاح المبدئي الذي حققته القوات الألمانية ، و في يوم 22 النوار « فبراير » أوقف الهجوم لضعف القوات القائمة به ، و صعوبة الأرض ، و قلة الإمدادات ، بالإضافة إلي ازدياد تهديد مؤخرة القوات الألمانية من الجيش الثامن الذي كان علي وشك الهجوم علي خطوط المحور جنوب تونس « 138 » .

و حاولت قوات المحور في يوم 6 الربيع « مارس » الهجوم علي قوات الجيش الثامن جنوب تونس لإيقاف التهديد المستمر لجبهتهم هناك إلا أن مقاومة القوات البريطانية غير المتوقعة أدت إلي فشل الهجوم .

نهاية قوات المحور في تونس :

و بدأ أن نهاية قوات المحور في شمال أرفيقيا وشيكة الوقوع ، فقد دخل الحلفاء تونس في 7 الربيع « مارس » ، و سقطت بنزرت في يوم 8 منه ، و كان سقوطها بمثابة إشارة لانهيار قوات المحور ، وقد عجّل بسقوطها ضعف الإسناد الجوي ، و نقص العتاد أمام خصم متفوق يمتلك جميع الإمكانيات ، و هكذا جاءت النهاية سريعة ، فقد انتهت مقاومة قوات المحور يوم 12 الماء « مايو » سنة 1943 و وقع ما يقرب من ربع مليون جندي أسري كان ثلثاهم من الألمان في أيدي الحلفاء « 139 » .

نتائج سقوط تونس :

أدي سقوط تونس إلي فتح الممرات البحرية حول صقلية أمام بواخر الحلفاء ، و أخذت القوافل تستخدم الطريق البحري القصير من جبل طارق إلي السويس دون مضايقة من السلاح الجوي الألماني .

لقد أدت هزيمة ألمانيا و إيطاليا في شمال أفريقيا إلي خسائر فادحة ، فخسر الألمان وحدهم عشر فرق مدربة و كميات كبيرة من مواد الحرب الثمينة ، و تكبد سلاح الجو الألماني خسائر فادحة في غاراته علي مالطا ، و ضد قوافل التموين ، و خلال النقل الجوي إلي تونس .

و خسر الإيطاليون كافة مستعمراتهم ، تلك الخسارة التي سببت للحكومة الفاشية أعظم الأزمات و أسوأها ، و كانت أخبار استسلام تونس ذات وقع مرعب محطم لنفسية الشعب الإيطالي حتي أن المسؤولين و المراقبين المطلعين رأوا أن سقوط موسوليني أصبح قاب قوسين أو أدني .

و أدرك موسوليني أن حكومته لن تتحمل اندحارات أخري مماثلة ، بل أخذ البعض يتساءل عن قدرة القوات الإيطالية ورغبتها في بذل الجهد للدفاع عن الوطن و خاصة بعد سقوط المستعمرات الإيطالية و تعوض بذلك بعضاً من سمعتها العسكرية المنهارة ، و هو أمر شك فيه الكثيرون .

---

(137) عمليات الجيش الألماني صفحة 179.

(138) ثعلب الصحراء جـ 3 صفحة 484.

(139) معارك الجيش الألماني صفحة 182.

لقد قامت القوات الألمانية و الإيطالية في شمال أفريقيا بحراسة الجناح الجنوبي لدول المحور في أوروبا، و الآن و قد انتهي وجود هده القوات بعد الهزيمة في تونس، أصبحت تلك الدول مهددة من قبل الحلفاء و بخاصة بعد سيطرتهم تماماً علي البحر الأبيض المتوسط، و توقع الخبراء أن تكون الضربة القادمة موجهة إلي إيطاليا نفسها لهزيمتها و إخراجها من الحرب «140».



(140) معارك الجيش الألماني صفحة 191.

الجزاء الثالث

انتقال الحرب إلي البحر الأبيض المتوسط
وإنهيار الفاشية

أدت الهزائم المتتالية و الانكسارات المتلاحقة التي مُني بها الإيطاليون إلي إحساس مرير لديهم بالهزيمة، و إلي فقدان الثقة بالمستقبل، و أرجع الإيطاليون ما أصابهم من كوارث إلي موسوليني و نظامه الفاشي، و أدركوا جيداً أنه يجب ـ إذا أرادوا تفادي الكارثة ـ بذل كل الجهود للتخلص من الأوضاع السيئة و المقيتة التي قد تؤدي بهم إلي هلاك مؤكد لا نجاة منه.

موسوليني و حكومته (141) :

كان موسوليني رئيساً للحكومة و قائداً علي القوات المسلحة، وكان يحمل رتبة «ماريشال الدولة» و كانت جميع القرارات تتوقف علي موافقته، أما الملك والإمبراطور فقد زُحزحت مكانته إلي الخلف دون الصدارة، بينما كان الضباط لايزالون يشعرون بأن واجبهم الأول و إخلاصهم القلبي للملك الرئيس التقليدي للعائلة الحاكمة وليس «للدوتشي» «142».

و كانت خسارة الإيطاليين لمستعمراتهم ضربة قاصمة للشعب الإيطالي لأنها كانت تعني أن جميع الجهود و التضحيات التي بذلت خلال نصف قرن في بناء أقاليم المستعمرات كانت هباءً و عبثاً.

و أخذ الإيطاليون منذ نهاية سنة 1942 يفترضون أن الدوتشي يتحمل شطراً من المسؤولية في كل هزيمة و كل أزمة يعانونها، بل أن كارثة تظهر أن النظام الفاشي الذي خلقه لم يعد قادراً علي معالجة الأوضاع الطارئة التي ورط نفسه فيها من أجل إطالة الحرب أكثر من اللازم.

و بذلك فقد معظم الإيطاليين أملهم في مستقبل أفضل. و وجه الشعب الإيطالي اللوم إلي الحزب الفاشي لهذه الانتكاسات و الهزائم، و إلي عدد من رجال الحزب بالذات، بل و حتي موسوليني نفسه، و فقد الإيطاليون ثقتهم بالألمان بعد سقوط «ستالينجراد» و طردهم من تونس، و نقل الجنود العائدون من روسيا أنباء تفيد بأنه لا أمل ـ فيما يبدو ـ في دحر روسيا.

و قد سببت الغارات الجوية العنيفة علي صقلية و المدن الإيطالية الشمالية زيادة النفور و الكراهية، و سئم الشعب الحرب و مقتها و صار يتوق إلي السلم. لقد تكبد الإيطاليون خسائر كبيرة، و بالرغم من ذلك كان موسوليني يعرف أن الحل الوحيد هو الاستمرار في القتال، و كان يأمل بأن الجنود الإيطاليين سيثبتون جدارة في الدفاع عن وطنهم، و يظهرون وضعاً أفضل مما كانوا عليه حتي الآن، و كان يعرف طبعاً بخيبة أمل الشعب في سياسته الفاشية، و قد أجري موسوليني في سنة 1943 تغييرات في المناصب الوزارية منها إعفاء الكونت «شيانو»

صهره من منصبه كوزير للخارجية، و قي حمل هذا التغيير علي الاعتقاد بأن موسوليني قد عزم علي إصلاح برامجه الحكومية، و لكن تتابع الحوادث أثبتت أن موقف هذه الحكومة لم يطرأ عليه أي تحسن أو تبدل «143».

المتآمرون :

و عندما احتلت وحدات من الجيش البريطاني في 32 أي النار« يناير» سنة 3491 مدينة طرابلس بدأ للكثير من الإيطاليين أنهم قد خسروا الحرب، و أن أمل إيطاليا الوحيد هو تخلصها من الحلف مع ألمانيا، لكن قلة منهم فقط اعتقدت أن المحور لن ينفصل طالما أن موسوليني قائم في الحكم.

---

(141) ولد بنيتو موسوليني سنة1883 ,و أسس سنة1919 الحزب الفاشي، و قاد في التمور (اكتوبر) سنة1922 الزحف علي روما حيث هيمن علي مقاليد الأمور في الدولة، و أبقي للملك سلطاته الاسمية فقط.

(142) معارك الجيش الألماني صفحة 198.

(143) معارك الجيش الألماني صفحة 202.

و قد زادت المعارضة منذ الحرث« نوفمبر» سنة بعد الانتصار الذي حققه « مونتجومري» في العلمين و الذي مهد لهزيمة الجيش الإيطالي في أفريقيا الشمالية ، فمنذ ذلك الحين بدأ التآمر علي عهد موسوليني .

و ما ليث التدمر في الانتشار و الاتساع ، و أصبح ملك إيطاليا نفسه متورطاً فيها و كان بلاط الملك و حاشيته علي اتصال بالجنرالات الذين أرادوا أن يروا نهاية لدكتاتورية موسوليني .

و اقترح الجنرال « فيتوريو امبروزيو» الاطاحة بالملك أيضاً إذ أنه ـ بحسب رأيه ـ ارتبط أشد الارتباط بالفاشية ، و اقترح « بادليو» أن يتنازل الملك ، و إن قيل أنه كان يطمع في خلافة موسوليني .

و كان موسوليني قد عين « امبروزيو» خلفاً للجنرال « كافاليرو» في رئاسة أركان الحرب ، و هو أحد المتورطين في المؤامرة للإطاحة به و لكن موسوليني ظل يتجاهل التقارير التي كانت تصله عنهم و كان لا يشك في إخلاص الملك له « 144» .

و عندما استسلمت قوات المحور في أفريقيا أدرك موسوليني أن النزول في الجانب الآخر ومن من البحر الأبيض المتوسط أصبح وشيكاً ، و اعتقد أن صقلية ستكون هي الهدف ، و راح يقول لجنرالاته بأن عليهم أن يقاوموا مثل هذا الهجوم مقاومة عنيفة ، إذ ليس ثمة احتمال لتسوية سياسية أو صلح منفرد ، و بدأ الهجوم علي صقلية في العاشر من يوليو بعد قصف عنيف ، و لم تمض أيام حتي كانت جيوش الحلفاء تتدفق عبر سهل « كاتانيا» « 145» .

«144» بنيتو موسوليني صفحة 235.

«145» نفس المرجع 241.

غزو الحلفاء لإيطاليا

كان من الواضح أنه بعد أن أتمت جيوش «إيزنهاور» الانجلو-أمريكية أسر ما تبقي من قوات المحور في تونس في شهر الماء «مايو» سنة 1943 أن هذه الجيوش المنتصرة ستتجه الآن إلي إيطاليا نفسها «146».

و توقعت القيادة الإيطالية أن الحلفاء سيشنون هجوماً علي إيطاليا، و سيكون الهدف الأول صقلية، لأنها هي المدخل نحو الأراضي الإيطالية، إلي جانب أن الاستيلاء عليها يعد استراتيجياً يؤدي إلي السيطرة علي مضايقها.

و وضعت القيادة الإيطالية خطة لمقاومة الإنزال تعتمد علي قيام حرس الساحل بحمايته و تقوم فرق المشاة بالدفاع عن المراكز المنيعة، علي أن يستعان بالفرق الآلية الألمانية كاحتياط سيار يقوم بالهجوم المضاد و إلقاء العدو في البحر «147».

تعاقب الأحداث السيئة

استسلام جزيرة بانتلريا:

كان موسوليني قبل الحرب بقليل قد جعل من جزيرة «بانتلريا» قلعة حديثة تقف ضد مالطا، و أنشئت بها حظائر للطائرات تحت الأرض، و حامية تتألف من اثني عشر ألف جندي مع أربعين بطارية مدفعية، و عدة أجنحة من المقاتلات جاهزة هناك، و أخبر القائد الإيطالي للجزيرة في 11 الصيف «يونيو» سنة 1943 القيادة العامة الإيطالية أن المقاوة قد أصبحت متعذرة لعدم وجود الماء، فأصدرت أوامرها بالسماح للحامية بإلقاء السلاح، و كان استسلاما غريباً مفاجئاً لأنه تم بدون أن يُشن عليها هجوم جوي أو أن يُجري عليها إنزال، و كانت الحامية و السكان في أتم حماية في ملاجئهم الصخرية، و لا يمكن أن يحدث نقص خطير في الماء، و مع ذلك استسلمت حامية الجزيرة، و كان لاستسلامها أثر كبير في تثبيط عزائم الشعب الإيطالي

غزو جزيرة صقلية :

بعدة أسابيع، و كان تحت إمرته 300 ألف جندي من الجيش و القوة الجوية و البحرية، و كان الجيش يتألف من أربع فرق مشاة، و ست فرق من حرس السواحل، مع فرقتين ألمانيتين أصبحت أربع فرق غي النهاية، و كان ما يقرب من مائة قطعة مدفعية من أثقل العيارات قد أعدت علي امتداد الساحل.

و كانت الشكوك تساور النفوس من أول الأمر في إمكانية الاحتفاظ بالجزيرة، و كان الجميع يدركون ضعف قوة قتال القوات الساحلية، و فعلاً كانت النتيجة مخيبة للآمال حيث أنها لم تُبد مقاومة من أي نوع، و فُقدت القواعد «أوغستا» و«سيراكيوز» بدون إطلاق طلقة واحدة بالرغم من قوة أسلحتها، و في بعض المحلات نسفت المدفعية و العتاد أو رُميت في البحر، و أُشعلت النار في مستودعات الوقود قبل وصول العدو بأربع و عشرين ساعة، و سرح الضباط قواتهم، و رموا أسلحتهم، و كانوا هائمين متسكعين في الطرقات و معظمهم في ملابس مدنية، و كانت هذه حالة الجيش السادس الإيطالي المنهار بقيادة الماريشال غراتسياني «148».

---

(146) ألمانيا الهتلرية جـ4 صفحة 112.

(147) معارك الجيش الألماني صفحة 204.

(148) معارك الجيش الألماني صفحة 206.

الغارات الجوية علي مدينة روما:

و في التاسع عشر من ناصر «يوليو» سنة 1943 التقي هتلر بموسوليني في «فيلتري» في شمال إيطاليا، و في أثناء اجتماعهما وصلت موسوليني أولي أنباء الغارة الجوية النهارية علي مدينة روما، و كانت الغارة موجهة بالدرجة الأولي إلي المطارات ومحطات السكك الحديدية، و كان وقعها علي موسوليني شديداً «149».

الحوادث تسير من سيء الى أسوأ

و عندما عاد موسوليني إلي روما وجد أن الحالة أسوأ مما توقعها نتيجة الغارة العنيفة، فقد واجه ثورة من أقرب الناس إليه في قيادة الحزب الفاشستي حتي من صهره شيانو، وكانت هناك مؤامرة، وراء هذه الثورة ضمت حلقة أوسع مدي، و وصلت إلي الملك نفسه للإطاحة به و بعهده.

اجتماع المجلس الأعلي :

و كان الزعماء الفاشيون الثائرون يقودهم «دينو غراندي» وزير العدل و «جيوسيبي بوتاي» وزيرالتربية، و شيانو صهر موسوليني يطالبون بعقد المجلس الفاشي الأعلي و هو أعلي سلطة دستورية في البلاد، الذي لم يكن قد اجتمع منذ الكانون «ديسمبر» سنة 1939، و قد دفعتهم إلي هذا الاجتماع الحالة الطارئة التي فرضها عليهم غزو الحلفاء لصقلية.

و اجتمع المجلس يوم 4 ناصر «يوليو» سنة 1943 و وجد موسوليني نفسه ـ لأول مرة منذ تولي الدكتاتورية ـ هدفاً لنقد عنيف وُجه إليه بسبب الكارثة التي قاد البلاد إليها.

و اتخذ المجلس قراراً بأغلبية «19» مقابل «8» يطالب بإعادة الملكية الدستورية علي أن يقوم إلي جانبها برلمان ديمقراطي، وطالب أيضاً بإعادة القيادة العليا للقوات المسلحة إلي الملك نفسه.

و لم يكن الفاشيون ـ فيما يبدو ـ يرغبون في المضي أبعد من هذا، و لكن كانت هناك مؤامرة أخري أكثر اتساعاً يشترك فيها عدد من القادة العسكريين و الملك، و قد قفزت الآن إلي عالم الوجود، و يبدو أن موسوليني نفسه قد تصور أنه تمكن من التغلب علي العاصفة إذ أن القرارات في إيطاليا لم تكن تتخذ علي أي حال بأغلبية الأصوات في المجلس الأعلي بل من الدوتشي نفسه «150».

اعتقال موسوليني :

و في يوم 25 ناصر «يوليو» سنة 1943 ذهب موسوليني لمقابلة الملك الذي كان قد أعد العدة للقبض عليه، و أوضح له الملك أهمية القرار الذي اتخدة المجلس الأعلي باعتباره أحد أجهزة الدولة التي وافق عليها البرلمان، و كل قرار يتخذه المجلس الأعلي له مكانة سامية من الأهمية و نبهه الملك إلي سوء الأوضاع في إيطاليا فقد غدت أرضاً خربة و انحلت معنويات الجيش انحلالاً كاملاً، و لم تعد للجنود رغبة في مواصلة الحرب، و أكد الملك لموسوليني أن اقتراح المجلس الأعلي شيء مرعب و مخيف، فهناك تسعة عشر صوتاً إلي جانب مشروع غراندي، و عليه ألا يشك لحظة واحدة في مشاعر إيطاليا تجاهه، فهو في هذه

«149» نفس المرجع صفحة 209.

«150» ألمانيا الهتلرية جـ 4 صفحة 115.

اللحظة أكثر رجل تكرهه إيطاليا، و أنه هو صديقه الذي لا زال علي صداقته، و طمأنه بأنه يجب شيئاً علي سلامته و سيضمن له الحماية.

و أخبره الملك بأن الماريشال بادليو سيخلفه في الحكم و أنه يتمتع بثقة الجيش الكاملة، و قد استقبل موسوليني هذا الأمر قائلاً: « إذا كنت جلالتك علي حق فيما قلته فسأقدم استقالتي ».

فقال الملك: « أجل و أنا لك إنني أقبل استقالتك من رئاسة الحكومة دون قيد أو شرط » «151».

بعد هذا اللقاء سيق موسوليني إلي إحدي سيارات الأسعاف التي كانت تنتظر خارج القصر و بداخلها عدد من الجنود المسلحين، و انطلقت به إلي إحدي الثكنات العسكرية حيث اعتقل بها في حراسة مشددة.

---

(151) بنيتو موسوليني صفحة 274.

انهيار النظام الفاشي:

و أُعلنت استقالة موسوليني من رئاسة الحكومة و تعيين الماريشال «بادليو» خلفاً عنه، و انطلقت الجماهير في الشوارع تهتف و ترقص و تغني، فقد سقط موسوليني و أصبحت الحرب علي وشك النهاية، و أن الفاشية قد انتهت و انطلقت اللعنات تنصب علي موسولينيني، و بدأ أن الناس تحولوا جميعاً و بسرعة البرق إلي أعداء للفاشية و حاول بعض كبار الفاشيين تعبئة الحرس الفاشي إلا أنه لم يلب نداء الواجب إلا خمسون فاشياً لم يجدوا ما يعملونه «152».

و هكذا هوي موسوليني، و كان خطأه يكمن في أنه حاول أن يصنع من الشعب الإيطالي دولة عسكرية و استعمارية كبري، ولم يكن الإيطاليون مؤهلين لهذه الخطوة إطلاقاً، فقد كانوا مغرقين في حياة الحضارة الوادعة، و ربط موسوليني مصيره بعجلة «الرايخ الثالث» فلما دارت الأمور ـ ابتداء من صيف عام 1943 ـ بعكس ما كان يُرجي و يُشتهي و أخذت ألمانيا في الذبول و الانحدار وجد نفسه هو الآخر يهوي نحو النهاية المحتومة.

حكومة بادليو:

انهارت الفاشية بنفس السهولة التي انهار بها مؤسسها، و ألف الماريشال بادليو حكومة لا حزبية من كبار القادة العسكريين و كبار الموظفين، و قام الرئيس الجديد بحل الحزب الفاشي، و أقيل كبار الفاشين من مراكزهم الحساسة و أُطلق سراح جميع مناهضي الفاشية «153».

و كانت حكومة بادليو في وضع لا تُحسد عليه فالغارات الجوية مستمرة، و كانت سبباً في نقص الأطعمة بدرجة كبيرة في مختلف أجزاء البلاد، و بدأ يسود قدر من عدم الاستقرار الاجتماعي الذي كانت تسببه العناصر الشيوعية في شمال إيطاليا، وأخذ الشعب الإيطالي نفسه يتوق إلي الإسراع في إنهاء الحرب.

استسلام إيطاليا :

في أوائل هنيبال «اغسطس» سنة 1943 مفاوضين إلي لشبونة بالبرتغال لبحث شروط الهدنة، ولم يعرف أمر هذه الاتصالات سوي عدد قليل، و لم يطلع هتلر عليها و إن كانت ساورته الشكوك من أن مثل هذه الاتصالات تجري في الخفاء، هكذا وقعت الهدنة في 3 من شهر الفاتح «سبتمبر» بين إيطاليا و الحلفاء في صقلية علي أن لا تُعلن و لا يسري مفعولها إلا بعد أن اتخذ الحلفاء استعدادتهم لإنزال قواتهم يوم 9 الفاتح «سبتمبر» قرب «سالرنو» «154».

و أدي إعلان استسلام إيطاليا إلي تعقيد المشاكل بالنسبة للألمان الذين أصبحوا لا يواجهون الحلفاء فقط، بل كان عليهم أيضاً مواجهة الإيطاليين الذين تخلوا عن قضيتهم المشتركة، و أما هذا الوضع السيء اضطر الألمان إلي دعوة الإيطاليين إلي الاستسلام و تجريدهم من الأسلحة و القبض عليهم كأسري حرب في كثير من المواضع، و قد بدأ علي الإيطالين الفرح لأن الحرب قد انتهت في النهاية، و قضي بذلك علي الجيش الإيطالي قضاءً تاماً «155».

«152» نفس المرجع صفحة 280. «153» ألمانيا الهتلرية جـ 4 صفحة 117.

«154» معارك الجيش الألماني صفحة 211.

«155» نفس المرجع صفحة 219.

و نُقل موسوليني في اليوم التالي لاعتقاله إلي جزيرة «فينتوتيني» التي علي بعد ثلاثين ميلاً إلي الجنوب، و لكن وضع الجزيرة - فيما يبدو- لم يكن مناسباً لسجن شخصية مثل موسوليني. فقد رفض قائد الشرطة بالجزيرة التعاون، كما أنه كانت بالجزيرة حامية ألمانية فأقلعت السفينة التي أقلت موسوليني علي الفور.

و نُقل موسوليني إلي جزيرة «مادالينا» و هي جزيرة منعزلة و تقع علي مقربة من الطرف الشمالي لجزيرة «سردينيا» و بقي بها ثلاثة أسابيع «156».

إنقاذ موسوليني :

و خشيت حكومة بادليو أن يحر الألمان موسوليني من سجنه فيحدث ما لا تُحمد عقباه، و تحت هذا الاحساس العميق من الخوف قرت في يوم 28 هنيبال «اغسطس» نقله من «مادالينا» إلي فندق علي ظهر جبل يدعي «جران ساسو» أو الصخرة العظيمة، و هو أعلي قمة في جبال الابنين البروزية، و لا يمكن الوصول إليه إلا عن طريق سكة حديدية معلقة «157».

و اهتم هتلر بإنقاذ موسوليني، و كلف «أوتوسكورزني» النقيب في وحدة من وحدات الحرس النازي بالقيام بهذه المهمة.

و بذل «سكورزني» مجهودات كبيرة، و أجري تحريات دقيقة في محاولة اقتناء أثر موسوليني الذي نُقل تحت سرية مطلقة وغيرت مواضع إقامته عدة مرات، و تكللت هذه الجهود بالنجاح فقد اكتشف أن المكان الأخير الذي نقل إليه هو الصخرة العظيمة، و قام علي الفور بعملية استطلاع لتلك المنطقة، و وضع خطة لإنقاذ موسوليني من أيدي سجانيه، و رأي أن من الواجب الإسراع بالعملية و إلا نُقل موسوليني إلي مكان آخر، كما أن هناك أمراً أشد خطورة، و هو احتمال تسليم موسوليني إلي الحلفاء في حالة توقيع إتفاقية الهدنة «158».

و قد تقرر إنزال قوة من الجنود بالطائرات الشراعية فوق الصخرة بالقرب من الفندق الذي يحتجز فيه موسوليني، ثم تقوم القوة باقتحام الفندق و تحريره، و بالفعل هبطت الطائرات الشراعية في الساعة الثانية بعد الظهر الظهر يوم 12 من شهر الفاتح «سبتمبر» سنة 1943 و اندفع الجنود مسرعين إلي داخل الفندق، و بالرغم من أن المكان كان يعج بالجنود الإيطاليين إلا أنهم هجروا مواقع مدافعهم الرشاشة و هرعوا بحثاً عن ملجأ بعد أن رأوا الفدائين الألمان، و بعد أن قذفوا بما يحملونه من بنادق و قنابل الأرض في طريق فرارهم «159».

و تمكن «سكورزيني» من نقل موسوليني بواسطة طائرة صغيرة أقلعت بصعوبة من فوق الجبل نقل فيها إلي فيينا.

و في 15 الفاتح «سبتمبر» قابل هتلر موسوليني بمقر قيادته، و كان موسوليني ميالاً للانسحاب من الحياة العامة ليجنب إيطاليا الحرب الأهلية، و لكن هتلر صارحه بالقول هذا سخف. فاعتزاله الحياة العامة أمر خارج عن الموضوع إطلاقاً، إذ أنه يظهر للعالم أن الدوتشي لم يعد مؤمناً بانتصار ألمانيا و علي الدوتشي أن يعيد نظره في الموضوع، و ما لم تقم حكومة فاشية قوية في شمال إيطاليا، فلا يعرف أحد ماذا سيحل بالشعب الإيطالي.

و لم تكن الحكومة الفاشية التي أعلنت الإذاعة الألمانية قيامها في التاسع من الفاتح «سبتمبر» أكثر من مرحلة انتقالية، و هي لن تجدي شيئاً دون زعامة الدوتشي لها، و علي الدوتشي نفسه أن يعود، و أن يحاكم خونة الخامس و العشرين من يوليو و أن يعدمهم، و علي العالم أن يسمع من جديد تأكيداً بتضامن المحور، و إنه يجب إعداد دستور للجمهورية الجديدة «160».

«156» بنيتو موسوليني صفحة 301.
«157» ألمانيا الهتلرية جـ 4 صفحة 128.
«158» بنيتو موسوليني صفحة 319.
«159» بنيتو موسوليني صفحة 321.
«160» نفس المرجع صفحة 329.

قيام الجمهورية الإيطالية الاشتراكية :

و أخذ موسوليني في إعادته تنظيم حكومته الجديدة ، و إقامة البناء الجديد للفاشية وأعلن في منتصف شهر سبتمبر سنة 1943 مولد الجمهورية الإيطالية الاشتراكية في صورة أوامر تنص علي أن يستأنف الدوتشي السلطة العليا في توجيه الفاشية في إيطاليا ، و أن يتولي إعادة تنظيم الحزب الفاشي تحت اسمه الجديد « الحزب الفاشي الجمهوري» و أن يقوم بإعادة تشكيل الحرس الفاشي و إعادة التعاون مع الألمان ، و معاقبة من سمّاهم باسم الخونة ، و في السابع و العشرين من شهر الفاتح «سبتمبر» استقبل موسولينيني عدداً من أعضاء حكومته جاءوا لتأدية يمين الولاء له كرئيس للجمهورية ، و كانت تغلب علي وزراء موسوليني مسحة الولاء للحلف الألماني و كان من بين هؤلاء الماريشال «غارتسياني» الذي تحدث إلي ضابط ألماني فقال: « لم أكن في يوم من الأيام فاشياً، و إنما كنت دائماً جندياً يطيع الأوامر » ، و بالرغم من أنه اعترف بخيبة أمله في عودة موسوليني للحكم ، إلا أن كراهيته لبادليو و احتقاره للدسائس السياسية التي كان يقوم بها ضباط القيادة العامة كانا كبيرين بحيث حملتا الألمان علي تجاهل عيوبه السياسية و عن فاشيته « 161 ».

و عندما تقرر بناءً علي نصيحة الألمان إقامة عاصمة للحكومة الجديدة في بلدة «سالو» علي بحيرة « جاردا» بدلاً من روما التي قد ينسحب منها الألمان عما قريب أمام الحلفاء ، انتقل إلي دار في بلدة «جرجنانو» الصغيرة الواقعة علي بعد بضعة أميال إلي الشمال من «سالو» علي شاطيء البحيرة « 162 ».

محاكمة المنشقين علي موسوليني :

و بدأ موسوليني عهد الجمهورية الجديدة بمحاكمة من اسماهم بخونة الخامس و العشرين من يوليو، و أصدر في ارلابع و العشرين من الحرث « نوفمبر» سنة 1943 مرسوماً بإقامة المحكمة الخاصة ، و لم يمثل أمام المحكمة من التسعة عشر متهماً إلا ستة فقط ، أما الباقون فقد تمكنوا من الفرار إلي الخارج أو الاختفاء في إيطاليا ، و كان الحاضرون هم « اميليو دي بونو» و « توليو شيانيني» و « جيوفاني مارينللي» و «لوشانيو جوتاردي» و « كارلو باريشي» و « شيانو» .

و بدأت المحاكمة في الساعة التاسعة من صباح السبت الثامن من أي النار « يناير» سنة 1944 بمدينة « فيرانا» و قد اتهم المسجونون بأنهم انتهزوا فرصة الاقتراع في المجلس الأعلي للفاشية في الخامس و العشرين من شهر ناصر « يوليو» سنة 1943 في مدينة روما فتآمروا مع بعضهم و حاولوا تحطيم استقلال الدولة ، و أنهم لم يحبطوا روح المقاومة المعنوية عند الأمة فقط بل أحبطوا العمليات العسكرية أيضاً، و عملوا بذلك علي مساعدة العدو و تخفيف الأعباء عنه « 163 ».

و في يوم الاثنين العاشر من يناير صدر الحكم علي جميع المتهمين بالإعدام باستثناء شيانيني الذي قضت المحكمة عليه بالسجن ثلاثين عاماً، و أعدم باقي المتهمين بأن أُطلقت النار علي أقفيتهم كما يُفعل بالخونة « 164 ».

الأيام الأخيرة للنظام الفاشي:

تراجع القوات الالمانية:

أنزل الحلفاء قواتهم علي الأرض الإيطالية في أوائل الفاتح «سبتمبر» ففي 3 سبتمبر 1943 نزل البريطانيون في كالبريا بجنوب إيطاليا و نزل الأمريكيون في سالرنو في جنوب نابولي في 9 سبتمبر و كانت الحرب في هذه الفترة عبارة عن اشتباكات

﴿161﴾ بنيتو موسوليني صفحة 335.

﴿162﴾ نفس المصدر صفحة 339 ـ كان من أهم مظاهر الضعف في جمهورية سالو أنها أقيمت في ذلك المكان النائي في الشمال لضرورات عسكرية ملحة ، و لا ريب أن الحكومة بتخليها عن روما عاصمة البلاد التاريخية قد أعطت للعاصمة الجديدة مكانة ضئيلة و وضع غريب .

﴿163﴾ بنيتو موسوليني صفحة 341.

﴿164﴾ نفس المرجع صفحة 347.

تجري كنقلات ، فتعد مواضع للدفاع تقوم بالمقاومة التي قد تطول أو تقصر و تنتهي بالانسحاب إلي موضع جديد ، و ذلك لاجتناب خطر إحاطة القوات و حصارها ثم تدميرها .

و أخذت القوات الألمانية تنسحب أمام ضربات الحلفاء فخسرت سالرنو ثم نابولي و احتلت بعد ذلك خطاً دفاعياً علي امتداد وسط إيطاليا و في أضيق جزء منه من شبه الجزيرة جنوب روما ، و قد ظل هذا الخط في يد الألمان إلي نهاية الربيع « مارس» سنة 1944 «165» .

و في 20 أي النار « يناير» سنة 1944 أنزل الحلفاء قواتهم في آنزيو كي يقطعوا علي الألمان خط الرجعة ، و في شهر الماء « مايو» تمكنت جيوش الحلفاء من دفع قوات الألمان شمالاً و سقطت روما في يد الأمريكين في الرابع من شهر الصيف « يونيو» سنة 1944 ، أي قبل يومين من نزول الحلفاء في نورمندي بشمال فرنسا .

و استمر الحلفاء في زحفهم علي المدن الإيطالية التي يحتلها الألمان فسقطت « فلورنسا» في 11 من هنيبال « اغسطس» و« بيزا» في أوائل الفاتح « سبتمبر» و « ريميني» في 28 منه ، و « رافنا» في أوائل الكانون « ديسمبر» .

و أخذ الحلفاء من العاشر من الطير « ابريل» سنة 1945 في مهاجمة الألمان من جانبي الجزيرة و بدأت تباعاً لذلك قوي الألمان في التداعي و الانهيار «166» .

الجري وراء الأوهام :

و أدرك موسوليني أخيراً أنهم قد خسروا الحرب وأن النصر أصبح مستحيلاً و أخر يبحث عن وقفة أخيرة تحقق له المجد ، و اقترح عليه بعضهم في الرابع عشر من ابريل سنة 1945 أن تكون الوقفة الأخيرة في فالتيلينا إلي الشمال من برجامو و بدأ موسوليني راضياً بهذا الاقتراح دون مناقشة و عندما اعترض غراتسياني علي هذا المشروع بدعوي أنه لم تُعد تفاصيل واقعية علي هذا المخطط أعلن موسوليني أنه ليس هناك إرغاماً لأحد بالمضي معه ، و علي كل منهم أن يقرر لنفسه .

و اجتمع وزراء الجمهورية الاشتراكية للمرة الأخيرة في السادس عشر من شهر الطير «ابريل» و أعلن موسوليني أن الاجتماع المقبل سيكون في ميلان ، و نصحه الألمان بعدم الرحيل إليها علي اعتبار أن بحيرة جاردا تقع علي الطريق الرئيسي لتراجع الجيش الألماني أما في ميلان فسيكونون عاجزين عن تأمين الحماية الكافية للفاشيين ضد رجال المقاومة السرية ، و مع ذلك رحل موسوليني إلي ميلان في التاسع عشر من أبريل مصحوباً بحرس من القوات الألمانية «167» .

و أخذت المشاكل تتزايد و تتعقد أمام موسوليني ففي كل ساعة تصل إليه أنباء كارثة عسكرية عن مدينة تسقط أو تراجع مستمر، و سمع في العشرين من الطير « ابريل» بسقوط مدينة « بولونيا» و في الثاني و العشرين منه بتقدم الحلفاء علي طول نهر « البو» و بسقوط مدينتي « مودينا» و « ريجيو» و جاءته الأنباء في اليوم التالي بأن « بارما» قد سقطت و أن الاتصال قد انقطع مع مدينتي « كريمونا» و « مانوتا» و في المساء احتل رجال المقاومة السرية « جنوة» .

و كان الألمان يتراجعون أمام جيوش الحلفاء دون توقف و أصبح الحلفاء علي بعد 60 ميلاً من ميلان و قرر موسوليني أن ينسحب مع ثلاثة آلاف من الحرس الفاشي إلي « فالتيلينا» ليواصل الحرب في الجبال و كان غراتسياني يري أن الفكرة كلها من الناحية العسكرية سخيفة و غير صالحة و نصحه الكاردينال «شوستر» بألا يجري وراء الأوهام فإن من سيتبعه هناك من الحرس الفاشي لن يزيدوا عن الثلاثمائة «168» .

«165» معارك الجيش الألماني صفحة 222.

«166» تاريخ أوربا في العصر الحديث ص699.

«167» بنيتو موسوليني صفحة 393.

«168» نفس المرجع صفحة 396.

و لكن موسوليني أصر علي رأيه ، و لم تكن غايته تحقيق نصر عسكري ، و إنما كان يريد نصراً معنوياً للفاشية ، و لذلك عقد العزم علي الموت في « فالتيلينا » فقد تصور في نوبة من هديانه أن حياته قد انتهت و لكن الفاشية لم تنته .

محاولة إنقاذ ما يمكن إنقاذه :

وفي اليوم الخامس والعشرين من شهر الطير « ابريل » جاء رئيس الشرطة في ميلان و غراتسياني لمقابلة موسوليني و البحث معه في انسحاب القوات الجمهورية من المدينة لإعادة تنظيمها في الشمال ، و لكن موسوليني أبلغهما بأنه سيذهب إلي الكردينال « شوستر » رئيس أساقفة ميلان ليطلب منه إعداد اجتماع مع زعماء لجنة التحرير الوطني ليعرف شروطهم للاستسلام ، فقد قرر أن يوفر علي الجيش المزيد من التضحيات ، و رجاه « شوستر » عندما التقي به أن يوفر علي إيطاليا المزيد من الاضطراب الذي لا طائل منه ، و أن يقبل شروط الاستسلام الشريف .

و اقترح موسوليني عند اجتماعه بممثلي لجنة التحرير الوطني أن يتم الاستسلام علي شرط حماية رجال حكومته و أسرهم ، و أفراد الحرس الفاشي ، و أن يعاملوا معاملة أسري الحرب ، و وافق ممثلو حركة التحرير الوطني علي ذلك . « 169 » .

و فيما بدأ أن موسوليني كان يقر شروط مندوبي اللجنة راح الماريشال غراتسياني يعلن فجأة ـ عندما أثير موضوع مجرمي الحرب ـ أنه علي الجمهورية الاشتراكية التزامات لحلفائهم الألمان ، وليس في وسعهم عقد إتفاق بدون الألمان تمشياً مع قوانين الشرف و الواجب .

غير أن ممثلي لجنة التحرير نبهوه إلي أن الألمان لم يحسوا بهذا الواجب عندما وافقوا علي توقيع إتفاق للاستسلام ، و أنهم لم يكلفوا أنفسهم عناء إبلاغ الحكومة الاشتراكية ، و غضب موسوليني بعد أن تأكد أن الألمان كانوا يجرون محادثات سرية مع الحلفاء لتوقيع الهدنة و أنهم قد خانوه .

و شعر موسوليني أثناء هذه المفاوضات أن المقاومة الإيطالية لم تكن خاضعة لتنظيم موحد ، و إنما كانت تسيطر عليها مشارب مختلفة ، و أن البعض منهم يريد إلقاء القبض عليه و تقديمه في غضون يومين لمحكمة للشعب تنفذ فيه العدالة السريعة ، و عندما أبلغ موسوليني بما يُحاك له قرر مغادرة ميلان علي وجه السرعة باتجاه كومو « 170 » .

القبض علي موسوليني :

و بينما كان موسوليني يتجه إلي كومو ، أخذ الألمان في إيطاليا يعدون العدة لتنفيذ إتفاق الاستسلام الذي عقد مع قوات الحلفاء و الذي جري الإتفاق بشأنه منذ مطلع شهر النوار « فبراير » سنة 1945 دون علم موسوليني .

و اتفق الألمان و الحلفاء علي الهدنة التي وقعوها في 29 الطير « ابريل » و بمقتضاها سلم الألمان أنفسهم و ألقوا بأسلحتهم دون قيد أو شرط .

و افق ممثلو حركة المقاومة السرية علي شروط الاستسلام الذي تم بين الألمان و الحلفاء ، و أعلنت لجنة التحرير الوطني لشمال إيطاليا أنها قد أصدرت أوامرها بأعلان الثورة العامة علي حكومة موسوليني في الخامس و العشرين من شهر الطير « ابريل » وأصدر مسئولو الألمان أوامرهم قبل الشروع في الثورة ببضع ساعات بمنع الجنود الألمان من التدخل في أية قضية إيطالية صرفة « 171 » .

---

(169) بنيتو موسوليني صفحة 400 .
(170) بنيتو موسوليني صفحة 402.
(171) نفس المرجع صفحة 390.

و في مساء 25 الطير «ابريل» وصل موسوليني إلي كومو بعد أن غادر ميلان التي حاصرتها جماعات المقاومة السرية، و اتجه إلي «جراندولا» التي تقع إلي الشمال من كومو و معه الماريشال غراتسياني و بعض الإيطاليين الآخرين، و كان موسوليني لايزال يصر علي وجوب إنقاذ الفاشية عن طريق وقفة أخيرة يصمد بها في الجبال، و لكن لم يبق معه كثيرون يرون هذا الرأي.
و بينما كان موسوليني يصر علي الاتجاه إلي فالتيلينا ليقف وقفته الأخيرة هناك، أخذ بعضهم في التخلي عنه خشية الوقوع في أيدي المقاومة السرية و غادروا المكان دون أن يودعوا موسوليني، و لم يودعه غراتسياني كذلك عندما مضي بعد الظهر من يوم 26 ابريل لنظم - فيما يزعم - إلي وحدة الجيش المرابطة في «مانديلو» و راح موسوليني يشكو من أن الجميع سيمضون ويبقي وحيداً «172».

و غادر موسوليني و من تبقي معه من أركان عهده قرية جراندولا في الصباح الباكر من يوم 27 الطير «ابريل» متجهين شمالاً و معهم قافلة ألمانية من أربعين شاحنة، و اصطدمت القافلة بسدادة للطريق أطلق من خلالها عدة أعيرة، و كان الطريق مغلقاً بشجرة ضخمة، و بكتل هائلة من الصخ وضعت في منتصفه، و كانت البحيرة تقع إلي يمين الطريق، بينما يقوم إلي شماله جدار صخري تغطيه الغابات كان يدعي باسم «روكا دي موسو» «173».
و أبلغ رجال القافلة من بالقافلة أنه سيسمح للألمان بالمرور عبر الحاجز، و حسب التعليمات التي عندهم فلن يسمح لأي من الفاشال الفاشين بالمرور، أما السيارات الألمانية فسيسمح لها بالاجتياز علي أن تفتش في «دونجو» للبحث عما إذا كان بعض الفاشيين يختبئون فيها.
و قد حاول موسوليني الفرار عن طريق اختبائه في إحدي سيارات الشحن الألمانية بينما رفض رجال المقاومة السماح للسيارات الإيطالية بالمرور «174».
و في حوالي الساعة الثالثة من يوم 27 الطير «ابريل» مضت الشاحنة التي تحمل موسوليني إلي «دونجو» و لم يكد الألمان يبعثون بسياراتهم حتي تقدم رجال المقاومة السرية بحيطة و حذر لاعتقال الوزراء و الموظفين الآخرين الذين احتجزوا عند سدادة الطريق و قد استسلم معظمهم دون مقاومة.
و في «دونجو» بدأ رجال المقاومة في تفتيش الشاحنات فاكتشفوا وجود موسوليني في إحداها، و بعثت علي الفور رسالة إلي «لجنة التحرير الوطني» في كومو تبلغهم الخبر.
و نقل موسوليني إلي مكان أمين خوفاً من قيام محاولة لإنقاذه، و اعتقلت معه أيضاً «كلاريتابيتاتشي» عشيقته التي راحت تتوسل إلي المسئول عن المقاومة السرية في دونجو السماح لها بالالتحاق به لتشاركه مصيرة «175».

السقوط المشين:

و عندما انتشر نبأ اعتقال موسوليني تنادي مختلف أعضاء لجنة التحرير الوطني لشمال إيطاليا، و الممثلون الرئيسيون لفيلق متطوعي الحرية إلي اجتماع عقدوه في ميلان.
و صدر حكم من ستة أوسبعة باسم لجنة التحرير الوطني يقضي بإعدام موسوليني و جميع وزرائه فور اعتقالهم و تمييز هوياتهم، و كان قد تقرر أن يُحمل موسوليني إلي ميلان ميتاً، و تحمّل مهمة تنفيذ الحكم «وولتر أوديسيو» الذي عرف أيضاً باسم «الكولونيل فاليريو» «176».

«172» بنيتو موسوليني صفحة 413.
«173» نفس المرجع صفحة 415.
«174» نفس المرجع صفحة 419.
«175» نفس المرجع صفحة 421.
«176» بنيتو موسوليني صفحة 434.

و حمل فاليريو تصريحاً بأنه قد كلّف بمهمة إلي كومو و مقاطعتها، و خوله هذا التصريح التجول بحرية، و رافقه في سيارته «الدو لامبريدي» العامل، و كان هو أيضاً برتبة عقيد فيلق متطوعي الحرية، و خلفهما سيارة شاحنة تحمل اثني عشر رجلاً من المقاومة يقودهم «ريكاردو موروديني».

و بعد اتصالات و مداولات و محاولات متكررة استطاع «ارديسيو» و «لامبريدي» تحديد المكان الذي أخفي فيه موسوليني، و في يوم 28 الطير «ابريل» سنة 1945 و في حوالي الساعة الرابعة اقتيد موسوليني و التي كانت تصحبه «كلاريتا بيتاتشي» و أعدما بإطلاق النار عليهما «177».

و تُركت الجثتان في حراسة شخصين، و ذهب أوديبو ليشرف علي إعدام خمسة عشر رجلاً من الذين أسروا في «موسو» و حملت الجثتان و وضعتا فوق الجثث الأخري في سيارة كبيرة حيث نقلت إلي ميلان «178».

و توقفت السيارة التي تقل الموتي في الساعات المبكرة من صباح التاسع و العشرين من شهر الطير «ابريل» سنة 1945 أمام مرآب «كاراج» لم يكتمل بناؤه في ميناء «لوريتو» البحري حيث كان الألمان قد أعدموا خمسة عشر من الرهائن قبل نحو تسعة شهور، و ما حانت الساعة التاسعة من ذلك الصباح حتي كان قد تحلق حول الجثث جمهور غفير كل منهم يحاول رؤية القتلي، و سرعان ما أوحي لهم ذلك برغبة عارمة في تعليق الجثث، فجيء بالحبال و شدت الجثث، و ارتفعت جثة موسوليني أولاً من رجليها ثم رفعت جثة كلاريتا بيتاتشي، و أدرك الناس أن الدوتشي مات مات أخيراً، و أنه ذُبح دون محاكمة، و كان من الواجب علي الأقل لرجل حكم هذه الجماهير مدة طويلة أن يوفر له بعض الاحترام الذي يليق بمن قُتل بدلاً من الإهانات و الشتائم «179».

و هكذا سقط موسيليني و سقطت الفاشية، و انتهت بذلك حقبة شديدة قتامة، امتدت منذ توليه السلطة و تأسيسه للنظام الفاشي سنة 1922 و حتي سقوطه في الثامن و العشرين من أبريل سنة 1945.

لقد أدي إعلان موسوليني الحرب علي بريطانيا و فرنسا سنة 1940 إلي زعزعة نظامه، فقد زج بالشعب الإيطالي في حرب غير مستعد و لا مهيأ لها، جرّت علي الإيطاليين سلسلة طويلة من الهزائم و الانكسارات الشنيعة، فكره الإيطاليون نظامه و ما جرّه عليهم من ويلات و دمار.

و كان سقوط موسوليني مؤذناً بتحرير الشعوب التي رزحت تحت طغيان الحكم الفاشي و دمويته، و ذاقت علي يديه الأمرين، إن المجازر التي اقترفها الحكم الفاشي في ليبيا و الصومال و أريتريا و الحبشة و غيرها أدت إلي كراهية الناس لهذا النظام ولإسلوبه، و اعتبروا سقوطه بهذه الصورة نتيجة طبيعية لسياسة استعمارية خرقاء مبنية علي العنجهية والغلظة و القسوة التي لا حدود لها، و مثل هذا السقوط المريع جزاء يستحقه من سبّب للبشر تلك الآلام و الأحزان.

نظرة أخيرة:

وصل موسوليني إلي قرية «جراندولا» التي تقع الشمال من كومو مساء يوم 25 الطير «ابريل» سنة 1945، و كان قد تقرر أن يقف وقفته الأخيرة في «فالتيلينا» في الجبال، و في هذا الوقت تماماً أخذ بعضهم في التخلي عنه خشية الوقوع في أيدي المقاومة السرية، و تركوا المكان دون أن يودعوه، و كان من بينهم غراتسياني الذي مضي بعد ظهر السادس عشر من ابريل لينظم إلي وحدة الجيش المرابطة في «مانديلو».

«177» نفس المرجع صفحة 443.

«178» نفس المرجع صفحة 445.

«179» بنيتو موسوليني صفحة 447.

و ترتبط شخصية غراتسياني ارتباطاً وثيقاً بالنظام الفاشي . فهو الرجل الذي ظل علي اتصال بهذا النظام منذ أُعلنت الفاشية سنة 1922 و حتي النهاية ، و هي نفس الفترة التي أخذت فيها شخصية غراتسياني في الظهور علي مسرح العمليات العسكرية في ليبيا ، و ال التي منحته شهرة واسعة لا يستحقها كما بينت الأحداث فيما بعد .

و كان غراتسياني و الأمور مقبلة و الانتصارات تتحقق في منتهي الفاشية ، فهو يعلن عند نزوله ببنغازي في شهر الربيع « مارس » سنة 1930 « إن عمله هو التمسك بمباديء الدولة الفاشية و الولاء لها ، فهو بصفته قائد فرقة عاملة في الجيش يحرص علي التصريح بأن مبادئه فاشستية خالصة « 180 » و إذا به في سنة 1943 يقول لأحد الضباط « لم أكن في يوم من الأيام فاشياً و إنما كنت دائما جندياً يطيع الأوامر » .

فغراتسياني ـ كما يبدو من تصريحاته ـ متلون نهّاز للفرص ، فهو و الدنيا مقبلة و الانتصارات تتوالي ، و الترقيات تتري بعضها في إثر بعض ، و الشارات العسكرية تلمع فوق الاكتاف . و التقريظ يصدر من الجهات الاستعمارية و الفاشية ، و المديح تكيله صحافة الدولة ، فاشي مخلص مقتنع بأهداف الفاشية و تعاليمها ، و عندما ارتعدت فرائص الفاشية ، و اهتزت أركانها ، و تقلص نفوذها ، و انكمش حيزها إذا به يصرح لم يكن في يوم من الأيام فاشياً ، و هو نفسه الذي تخلي عن موسوليني عندما اشتدت محنته ، و زادت عزلته ، و قربت نهايته ، و سلك سبيلاً متلفاً ، فحينما اتجه موسوليني إلي شمال إيطاليا يبحث عن نهايته هناك اتجه غراتسياني إلي وحدة للجيش الجمهوري لعله يتملص من النهاية التي حاقت بأنصار الحكم الفاشي .

و كان غراتسياني عند نشوب الحرب العالمية الثانية قائداً للجيش العاشر الإيطالي تحت إمرة الحاكم العام لليبيا « إيتالوبالبو » و وقعت في نهاية سنة 1940 معركة سيدي براني « التي كانت البداية في اندحار القوات الإيطالية في شمال أفريقيا ، و عندما استسلمت بقايا الجيش العاشر الإيطالي شمال مدينة اجدابيا ، و كانت معركة سيدي براني أول المعارك الهامة التي يخوضها الإيطاليون و هم عازمون علي التقدم شرقاً و الاستيلاء علي مصر و قناة السويس ، و كان احتلال مصر يعني قطع خطوط المواصلات بين بريطانيا و مستعمراتها في الشرق ، و السيطرة علي البحر الأبيض المتوسط ، و تأمين المواصلات بين إيطاليا وشمال أفريقيا .

و تشاء الأقدار أن تكون الهزيمة في سيدي براني نقطة تحول خطيرة في الأحداث التالية ، فقد كشفت للعالم مدي ضعف الجيش الإيطالي ، و سوء تكوينه و تدريبه ، و تخلفه في المعدات و الفنون العسكرية ، و انحطاط روحه المعنوية ، و اعتباره قوة واهية ليست بذات قيمة مهمة ، و اعتبرت الهزيمة من ناحية أخري لطمة قوية علي وجه النظام الفاشي الصفيق ، و ضربة صاعقة لم يفق منها هذا النظام مطلقاً .

إن هزيمة الجنرال غراتسياني في أول و أهم معركة يخوضها الإيطاليون بعد نشوب الحرب العالمية الثانية ، كانت بحق هزيمة للنظام الفاشي ، بحيث هرع الألمان لمساندة حلفائهم المترنحين تحت وقع الهزيمة الثقيلة ، بحيث يمكننا القول أنهم أصبحوا عبئاً ثقيلاً علي حلفائهم الألمان .

و عندما استسلمت قوات المحور في تونس و انتقلت العمليات العسكرية إلي البحر الأبيض المتوسط ، و بدأ الحلفاء ينوون غزو إيطاليا ، عُين غراتسياني ـ الذي كان قد رقي إلي رتبة الماريشال ـ قائداً للجيش السادس الإيطالي في صقلية ، و كانت تحت إمرته حوالي ثلاثمائة ألف جندي ، و كانت صقلية أول أرض إيطالية يطأها الحلفاء ، و بالرغم من الاستعدادات التي اتخذت للدفاع

---

(180) عمر المختار و إعادة الاحتلال الفاشي لليبيا صفحة 107.

عن الجزيرة، إلا أن الجنود أخذوا في نسف المعدات و الذخيرة قبل وصول العو بأربع و عشرين ساعة، و عجز غراتسياني عن السيطرة علي تلك القوات التي اعتراها الهن و التفكك، و سقطت صقلية و كانت أول أرض إيطالية تسقط في يد الحلفاء، وكان سقوطها مؤذناً بسقوط موسوليني و النظام الفاشي معه، و إذا كانت هزيمة غراتسياني في سدي براني و تدمير الجيش العاشر الإيطالي في شمال اجدابيا قد أدت إلي زعزعة النظام الفاشي و اضطرابه، فإن تفكك الجيش السادس الإيطالي و انحلاله أدي إلي تدمير النظام الفاشي و نهايته.

و عندما أنقذ الألمان موسوليني من سجنه، و كوّن جمهوريته الاشتراكية الهزيلة، تولي غراتسياني منصب وزير الدفاع في هذه الجمهورية التي رأي فيها رجال المقاومة مجرد جنود شرطة وضعوا لحماية الألمان، و كانت جمهورية موسوليني الاشتراكية قد أقيمت في شمال إيطاليا بعيداً عن روما العاصمة التاريخية لإيطاليا، و هو ما أعطاها شكلها الغريب و وضعها غير المطمئن، إذ كان بقاؤها مرهوناً ببقاء الألمان، فهي تقع في مكان خاضع لسيطرة الألمان الذي أخذت جبهتهم في التراجع تحت وطأة ضربات الحلفاء، و أخذت تبعاً لذلك جمهورية موسوليني في التقلص و الانكماش، و بدأت تعتريها سكرات الموت، و تلوح في أفقها النهاية المحتومة.

و ظل غراتسياني سائراً في ركاب موسوليني مصاحباً لخط سير الجمهورية الآخذة في الانحدار و التلاشي، إنه بحق حامل حظوظ الدولة الفاشية، و هو يدرك أنه لم يعد ما يمكن عمله من أجلها و ها هي توشك علي الانتهاء بعد أن قل ناصرها، و غاب مؤيدها، و أصبحت مجرد تابع للألمان، و وصلت إلي حد لا يستطيع معه أي إنسان مهما كان أنينهض بأمورها أويصلح من شأنها فقد أوشكت شمسها علي الأفول.

و عندما أدرك غراتسياني أنه قد حانت النهاية، و أن كل شيء يمضي بسرعة إلي زوال أكيد، انفصل نهائياً عن موسوليني و قرر الاتجاه إلي إحدي وحدات الجيش تاركاً موسوليني إلي نهايته المحتومة.

إن عمليات الإبادة و القمع التي قام بها الإيطاليون و خاصة في برقة يتحمل وزرها ساسساسة الدولة و علي رأسهم موسوليني و رجال حكومته، و آخرون يحتلون مراكز مرموقة في ليبيا من أمثال غراتسياني و بادليو و من يتبعهما من مرؤوسين، بالرغم من ذلك فإن المقاومة الإيطالية التي تكونت لمكافحة الفاشية في إيطاليا مكنت في مرحلة تصفية الفاشية ضباطاً كباراً من أمثال غراتسياني الذي اقترف عمليات التدمير و الإبادة في لبيبيا، و مذابح عام 1937 في الحبشة، و تولي منصب القائد العام في جمهورية «سالو» التي أعلنها موسوليني في شمال إيطاليا في «نورمبرغ» و لم توجه إليه تهمة ارتكاب جرائم ضد الانسانية تفضي إلي إعدامه، بل أفلت من الإعدام مدّعياً أن ما قام به كان من أجل الدفاع عن وطنه، و هكذا تُرك دون عقاب.

ثبت بالمصادر والمراجع

1ـ آراء في السوق و التعبئة و مبادىء القيادة ـ معمر القذافي « بنغازي ـ لبيبا 1969 ».

2ـ الاستعمار و المذاهب الاستعمارية ـ د. محمد عوض محمد « القاهرة 1961 ».

3ـ أصول القيادة و مشاهير القادة ـ السيد فرج كتاب الجمهورية 10 « مصر » .

4ـ برقة الخضراء ـ اتيليوتروتس ، تعريب خليفة محمد التليسي . « الدار العربية للكتاب ـ ليبيا 1991 ».

5ـ برقة الهادئة ـ رودلفو غراتسياني، تعريب إبراهيم سالم بن عامر. « بنغازي ـ ليبيا 1975 »

6ـ بعد القرضابية ـ خليفة محمد التليسي « الدار العربية للكتاب ـ ليبيا 1978 ».

7ـ بنيتو موسوليني ـ كريستوفر هيبرت ـ تعريب خيري حماد « دار المعارف ـ مصر 1965 »

8ـ التاريخ العسكري في 100 سؤال ـ فتحي عبدالله النمر ـ « مصر 1965 ».

9ـ تاريخ ألمانيا الهتلرية ـ وليام شيرر ـ تعريب خيري حماد « بيروت 1966 » .

10ـ تاريخ أوروبا في العصر الحديث ـ هربرت فيشر ـ تعريب أحمد نجيب هاشم و وديع الضبع « دار المعارف ـ مصر 1958 ».

11ـ ثعلب الصحراء ـ بول كارل ، تعريب كمال عصمت الشريف « مكتبة الأنجلو ـ مصر».

12ـ جهاد الأبطال ـ الطاهر أحمد الزاوي ، « بيروت 1973 ».

13ـ حاضر العالم الإسلامي ـ لوثروب ستودارد، تعريب عجاج نويهض « طرابلس ـ 1971 ».

14ـ رومل ثعلب الصحراء ـ ديسموند يونغ ، تعريب المهدي سعد الأبيض . « مطابع الثورة ـ بنغازي».

15ـ العالم العربي ـ د. نجلاء عز الدين ، تعريب محمد عوض إبراهيم و آخرون « القاهرة ـ 1962 ».

16ـ الماريشال رومل ـ عمر أبو النصر . « بيروت ـ 1969 ».

17ـ المشير فون رونشتد ـ كونثر بلومنتريت ، تعريب محمود شيت خطاب « بيروت ـ 1966 » .
18ـ عمر المختار و إعادة الاحتلال الفاشي لليبيا ـ « مركز دراسة جهاد الليبيين 1988 » .
19ـ عمر المختار نشأته و جهاده . « مركز دراسة جهاد الليبيين 1988 » .
20ـ ليبيا بين الماضي و الحاضر ـ حسن سليمان محم‌محمود « مؤسسة سجل العرب ـ القاهرة 1962 »
21ـ مذكرات جوليتي ـ تعريب خليفة محمد التليسي « الدار الجماهيرية للنشر 1986 » .
22ـ مذكرات رومل ـ تعريب فتحي النمر « مكتبة الأنجلو ـ مصر 1965 » .
23ـ مذكرات زوكرف ـ عمر أبو النصر « بيروت 1970 » .
24ـ معارك الجيش الألماني في الغرب ـ سيغفريد وستفال، تعريب زكي عبدالمجيد. « بيروت 1967 » .
25ـ معارك الشرق الأوسط ـ محمود صبحي و أحمد شوقي عبد الرحمن « مكتبة النهضة ـ القاهرة » .
26ـ معجم البلدان الليبية ـ الطاهر أحمد الزاوي « ليبيا ـ 1968 » .
27ـ معجم معارك الجهاد ـ خليفة محمد التليسي « طرابلس ـ 1983 » .
28ـ من داخل معسكرات الجهاد ـ جورج ريمون ، تعريب محمد عبدالكريم الوافي « بنغازي ـ 1988 » .
29ـ من نورماندي إلي البلطيق ـ مونتجومري ، تعريب عبدالحميد أحمد نعمت « مصر ـ 1953553 » 1953 » .
30ـ نحو فزان ـ رودلفو غراتسياني ، تعريب طه فوزي « طرابلس1973 » .
31ـ هتلر الغازي ـ ريمون كارتيه ، تعريب باسيل دقاق « بيروت ـ لبنان1974 » .
32ـ هتلر من القوة إلي الانهيار ـ بنيامين إيبل ، تعريب فؤاد نخلة « بيروت ـ 1965 » .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
التوسع الاستعماري الإيطالي	
الحرب العالمية الثانية	
موقف القوات البريطانية .	17
التهيؤ للقتال .	18
انهيار فرنسا .	19
موسوليني يعلن الحرب .	20
هجوم غراتسياني علي مصر .	
مسألة مالطا .	
الاستعداد للمعركة المقبلة	22
الموقف بعد الهجوم الإيطالي .	
ويفل .	
الحرب في الصحراء .	23
مجموعة الصحراء بعيدة المدي .	
خطة للقضاء علي غراتسياني	24
عملية البوصلة .	25
ثغرة نبيوة .	
الهزيمة في براني	27
خطة المعركة .	
معركة سيدي براني .	29
أسباب الهزيمة في سيدي براني .	
المطاردة .	30
البردية .	
عند مفترق الطرق .	31
استسلام بقايا الجيش العاشر الإيطالي .	

الموضوع	الصفحة



الدار الجماهيرية للنشر و التوزيع و الإعلان
مصراتة - الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الإشتراكية العظمى